جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

محاضرة الاولى

(حاضر العالم الإسلامي)

- جعل الإسلام من المسلمين أمةً خاصة دون الناس ، متميزة ليست كغيرها من الأمم .
- الأمة الإسلامية ذات شخصية مختلفة تمام الاختلاف عن الشخصية التي عرفها العالم قبلها من خلال مفهوم التفسيرات المنحرفة إلى العنصرية أو التعدد أو عزل الأخلاق عن الشريعة أو العقيدة عن الأخلاق .
- نظرة الإسلام المتكاملة للكون والحياة والمجتمع أثرت تأثيراً بعيداً في مفاهيم الحضارة والنظم والمناهج .
- قال تعالي :) إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون(وقد وصف الله سبحانه وتعالي هذه الأمة بأنها خير الأمم)كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (
- وضع الله سبحانه وتعالي في هذه الآية مواصفات هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله .
- ظل الفكر الإسلامي انطلاقاً من طبيعته ومضمونه القائم على التوحيد الخالص يواجه ويدلي رأيه فيها ولا يتوقف عن النظر المنصف ولا يتقبل كل شئ .فالفكر الإسلامي بسماحته وانفتاحه على الثقافات والفكر العالمي قادر على الأخذ .
- حفظ الإسلام من الانهيار والتفكك بقاء القرآن الكريم بعيداً عن كل الأخطار سليماً لم يمسه سوء مصداقاً لقوله سبحانه)إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (.
- بقيت السنة النبوية هادية للمسلمين بعد أن أسلمنا إياها أسلافنا نقية تنير للمسلمين الدرب ، وكذلك العلماء الذين يهتدون بالقرآن والسنة الذين لم يخل منهم زمن .

تحدد وضع الناس في أمة الإسلام على النحو الآتي :

1- إن هذه الأمة تجمع شمل كل المسلمين بلا استثناء ممن عاش داخل العالم الإسلامي وخارجه .
2- إن هذه الأمة موجودة بالفعل سواء تجمعت أوصالها في دولة واحدة أو في مجموعة من الدول .
3- إن هذه الأمة تفتح صدرها لمن لم يكن مسلماً ويعيش مرتبطاً في المكان ومشاركاً في مسئوليات الحياة ، وعلى هذا كان وصف الأمة الإسلامية بأمة الوسط ، قال تعالي :) وكذلك جعلناكم أمة وسطا (.

الوسط هو الخيرية في كل شئ ، وعدم الإفراط والتفريط والغلو والتقصير ، وعدم الاقتصار على ناحية والتقصير في ناحية مما فيه خير دين ودنيا

الروابط التي تجمع أفراد الأمة الإسلامية :

وحدة الإسلام بين المسلمين على اختلاف عناصرهم وأجناسهم وبيئاتهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم .

أقام الإسلام هذه الوحدة على أسس بينة وقواعد راسخة لا يتسرب إليها الضعف ولا يتسلل إلى بنيتها التفسخ والانحلال.

قال r (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضا) وقد وكل إلى المسلمين رسالةً واضحةً مشرقةً قويةً لا يعرف العالم ولن يعرف رسالة أعدل منها ولا أفضل ولا أيمن للبشرية ، ومن هنا جاءت الرسالة بالدعوة إلى الله .

الرسالة هي الدعوة إلى الله وحده وما ينبني على التوحيد من واجبات ، فقامت الرابطة بين أبناء الأمة الإسلامية على أساس العقيدة الإسلامية ، أساس الدين الإسلامي الذي هو فطره الإنسان ففيه :

1-توحيد الإله : الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فإقرار المسلم بالإله الواحد يعني إفراد العبودية لله وحده ، وتحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ، وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى عدل السماء . وعلى ذلك يكون توحيد الإله من أهم الروابط التي تجمع الأمة .

2-التوجه نحو كعبة واحدة في الصلاة : حيثما يكون المسلم يتوجه إلى البيت الحرام في مكة ، مما يحقق وحدة الهدف، يعود المسلمين الاتجاه الخالص الذي لا تنشتته أهداف جانبية ولا تتنازعه غايات دنيوية تزول ، وتنتفي الفوارق الطبقية .

3-وحدة الكتاب –القرآن الكريم : الذي يقوم عليه التشريع وتؤخذ منه الأحكام في مختلف شئون الحياة التعبدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والعسكرية مما يحقق وحدة الفكر ووحدة الثقافة ووحدة الاتجاه وهي من الأسس الهامة التي لا تقوم لأمة بغيرها قائمة .

4-وحدة الحج إلى بيت الله الحرام : الحج مؤتمر إسلامي سنوي عام يوحد بين المسلمين مما دفع المستشرق لوثروب ستودوارد أن يقول :

" إن الوحدة الإسلامية إنما هي قائمة على ركنين أساساً ولا ثالث لهما ، الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة و الخلافة، وقد غلب على رأي الكثيرين من رجال الغرب وَهْمٌ من هذا الموضوع ، فهم ما برحوا يخالون الخلافة لا الحج العامل الأكبر والأشد الذي بسببه يشارك المسلمون ميولاً وعواطف تشاركا مؤدياً إلى اعتزاز الوحدة وازدياد منعتها وامتدادها وانتشارها على أن هذا لمن الوهم الصرف .....،

فالأمر حقاً على الضد منه ... فالمقاصد والأغراض السياسية التي ينالها المسلمون على يد الحج الممهد لها السبيل إنما هي معلومة لا تحتاج إلى كبير إيضاح .

يواصل المستشرق قوله : " إنما الحج هو المؤتمر الإسلامي السنوي العام ... ومن هذا المؤتمر العظيم كانت قلوب قادة اليقظة الإسلامية وأبطالها محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن السنوسي والإمام محمد احمد المهدي وجمال الدين الأفغاني تشعر بجلالة الواجب الإسلامي المقدس وتتقد من خطورة المشهد وروع المحفل غيرة على الإسلام والمسلمين "فهو يغذى روح الوحدة الإسلامية العامة .....،

الحج يغذي روح الوحدة الإسلامية العامة ، التي تترفع على العصبيات والقوميات ، ومن يحج فيه حماسة دينية لمُثل الإسلام العليا ، كما أنه وسيلة لنقل وتبادل العلوم والأفكار بين المسلمين ، ويفتح عقل المسلم على أساليب أعداء الإسلام ويفضحهم .

5- وحدة اللغة : وهي اللغة العربية التي اختارها الله سبحانه لتكون لغة القرآن الكريم وحث نبيه الناس على تعلمها والتكلم بها لمعرفة أحكام الإسلام وتفهم تشريعاته ، فاللغة العربية ليست للعرب وإنما هي للمسلمين جميعاً ، وهي وسيلة التفاهم بين المسلمين ووسيلة التعاون .....،

اللغة العربية هي وسيلة التعاون والوعاء الذي يحفظ الإسلام منهجاً وينقل تراثه ، قال النبي r : (وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم ، وإنما هي لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي " وقال عمر بن الخطاب t :" تعلموا العربية فإنها من دينكم ، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم " فمعرفة العربية واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهمان إلا بالعربية ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب "

حفظ القرآن هذه اللغة وصانها الإسلام ونشرتها دعوة التوحيد بين الأمم في أقطار المعمورة ولولا المؤامرات والهجمات

لولا الهجمات الشرسة التي قادها المستعمرون والشعوبيون على اللغة العربية لما وجد مع اللغة العربية في أقطار شبة القارة الهندية واندونيسيا وماليزيا وأفريقيا لغة أُخري تضارعها انتشاراً .

6-التاريخ المشترك لأمة الإسلام : الذي ينتج عنه وحدة الآمال والآلام ويجعل من المسلمين أمة واحدة يحس كل فرد منهم بإحساس الآخر في السراء والضراء ، فكل مسلم يتجه إلى الآخر في مشاركته الوجدانية في مواقع بدر والفتح وتبوك واليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت وبلاط الشهداء ونكبة المسلمين في الأندلس وفي فلسطين .

كذلك تتضح مشاركة الآخر في وضع المسلمين في الاتحاد السوفيتي واريتريا و الفلبين وفطاني وأفغانستان و الهند وكشمير وإثيوبيا وغيرها .

لا توجد بلاد افتخرت بمن فتحها واعتزت به وجعلته ميلاداً لتاريخها طوعاً ، غير بلاد الإسلام فمصر اعتزت بعمرو بن العاص والشام اعتزت بأبي عبيدة وخالد وغيرهما ، والعراق اعتز بسعد بن أبي وقاص ، وشمال إفريقيا اعتز بعقبة بن نافع وحسان بن النعمان وباكستان اعتزت بمحمد بن القاسم ، وكل ذلك تم فضل قيم وتعاليم ووحدة المسلمين .

7-وحدة النبوة والرسالة : قال تعالي :) آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير(ومن ذلك تنتج وحدة القيم والتقاليد والعادات بين أبناء المسلمين في مختلف أقطارهم ، فأنى توجهت في أرجاء العالم الإسلامي تجد بين المسلمين قيم صلة الرحم وحق الجار وحق الجار والحشمة والوقار ونبذ المنكرات وآداب المعاملات واحدة ، حتي أنك لا تجد غرابة أو تنافر حين يضمك جمع من المسلمين الواعين على الإسلام ولو كان في أقطار شتي لان الإسلام وحدهم وجمع شملهم

ألف الإسلام بين المسلمين ووحد قيمهم وتقاليدهم وفقاً لأحكام القرآن الكريم ومفاهيم السنة الشريفة ، قال تعالي :)وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم (قال الرسولr " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاظمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " وهذا ولم يهمل الإسلام غير المسلمين في المجتمع الإسلامي فدعاهم أهل المجتمع لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وقد حدد علاقات المسلمين بهم على أسمي ما عرفت البشرية من علاقات تجاوزت حد الانصاف إلى آفاق البر والرحمة يقاتل دونهم ويحميهم ويعينهم

في ضوء مفهوم الأمة نجد أن الإسلام يقيم من أهله أمة كاملة على أوافق وأكمل ما يكون نظام الأمم .

ومفهوم الأمة الإسلامية أكثر شمولاً من مفهوم العالم الإسلامي فهو يتسع حتي يشمل المسلمين جميعاً في جميع أركان العالم وأقطاره ، فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية لا تقتصر على شعب معين او بلاد معينة ، فكل أرض لا تصلح للإسلام ولدعوته ولمبادئه مهما كانت طبيعتها ومهما كان جنس سكانها ولونهم ولغتهم ، قال تعالي :) وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً

العالم الإسلامي اليوم هو تلك الرقعة من الأرض التي تكاد تكون متصلة دونما حواجز أو فواصل ، في العالم القديم (آسيا وافريقيا وأوربا) من إيريان الغربية شرقاً في اندونيسيا إلى جزر الرأس الخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي غرباً ، ومن جبال الأورال وسيبيريا شمالاً إلى موزمبيق جنوباً . فهو على ذلك مفهوم جغرافي يشمل البلدان التي تسكنها أكثرية مسلمة أو كانت تخضع للمسلمين سابقاً أو كانت ذات أغلبية مسلمة

- من خلال ذلك يتضح أن مساحة العالم الإسلامي تزيد على 37 مليون كيلومتر مربع ، ويعيش فيه أكثر من 850مليون نسمة باستثناء الأقاليم التي انحسر عنها المد الإسلامي في الأندلس وصقلية والبلقان والهند .
- رغم المعوقات مازال الإسلام يتوسع خصوصاً في منطقتين هامتين من مناطق العالم هما قلب إفريقيا وجنوبها وجنوب شرق آسيا ، إضافة إلى أن الإسلام شق طريقة إلى العالم الجديد امريكا الشمالية والجنوبية واستراليا والإسلام هو ديانة المستقبل وقارة إفريقيا بشكل خاص هي قارة المستقبل
- انتشر الإسلام في بقاع العالم ويزداد انتشاره يوم بعد يوم رغم الهجمات الشرسة التي يقوم بها أعداء الإسلام .
- تعرضت الكثير من الأقليات الإسلامية إلى الكثير من المشاكل بغرض تذويبها على إطار عقيدة الدولة الغير إسلامية واتخذت العديد من السبل لاضطهاد المسلمين .
- في إقليم المورو الإسلامي يجاهد المسلمون لنيل حريتهم من قيضة الهجمة الصليبية الفلبينية .
- في فرنسا ألف العمال المسلمون الأتراك في بوردو وضواحيها في اوائل عام 1985م جمعية إسلامية واستأجروا
- ....استأجروا مكاناً اتخذوه مسجداً لصلاتهم ويعلمون فيه أبناءهم القرآن الكريم والدين الإسلامي .
- في بريطانيا يوجد عدد كبير من المدارس الإسلامية ويطالب المسلمون باستقلال مدارسهم الإسلامية .
- في اسبانيا انطلق صوت الأذان لأول مره بعد 500عام من خروج المسلمين من الأندلس فتقرر بناء مسجد في مدريد بعد زيارة الملك فهد بن عبد العزيز لمدريد في فبراير 1985م ويكون تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي .
- بلغ عدد المسلمين في الولايات المتحدة أربعة ملايين مسلم وتبلغ مدارسهم الإسلامية عام 1985م أربعين مدرسة
- ذكر لويس فرخان زعيم المسلمين في الولايات المتحدة أن عدد المسلمين تجاوز 30مليون نسمة وطالب بتكوين أمة خاصة بالسود المسلمين لحمايتهم من الاضطهاد .
- عقد المؤتمر الأول لمستقبل الدعوة الإسلامية في أمريكا الجنوبية –برازيليا- عام 1985م برعاية رابطة العالم الإسلامي بغرض بحث المشكلات التي تعترض جهود الدعوة والدعاة .
- استراليا دخلها الإسلام عام 1850م على يد الأفغان الذين استقدموا مع الإبل المستخدمة في النقل والكشوف الجغرافية فأسسوا العديد من المصليات عبر طرق القوافل التي سلكوها كما بلغ عدد المساجد عشرة
- كذلك دخل الإسلام استراليا من رافد آخر عن طريق هجرة المسلمين من أقطار عديدة مسلمة وقد بدأت الهجرة منذ عام 1334ه فازداد عدد المسلمين .
- وبذل الملك خالد بن عبد العزيز جهود كبيرة للعناية بالمسلمين في استراليا فدفع مليون دولار لبناء المدارس كما ساهمت المملكة في إنشاء 45 مركزاً إسلاميا عام 1406هـ
- الحكومة الاسترالية لا تعوق الدعوة الإسلامية ولكن اليهود وهم الذين يسيطرون كلياً على الصحف وجميع وسائل الإعلام ورأس المال يقفون في وجه الدعوة

تواجه الأقليات الإسلامية أربع دوائر للخطر هي :

الصليبية : التي تمارس لونين من الغزو العسكري والفكري ، كما يحدث في الفلبين وأوغندا ودول الهند الصينية والإفريقية .

الصهيونية : هي سرطان الأمة الإسلامية وتحاول جاهدة تحجيم الوضع الإسلامي أياً كان حجمه في مختلف الأرجاء.

الشيوعية : تحارب الإسلام وتعمل على ابادت المسلمين كما في الاتحاد السوفيتي وغيرها من الدول الشيوعية .

بدأ الاهتمام الرسمي بالأقليات عام 1931م مؤتمر القدس ثم نداء التضامن الذي وجه الملك فيصل عام 1972م احتجاجاً على اضطهاد المسلمين في الاتحاد السوفيتي

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

محاضرة الثانية

أهمية العالم الإسلامي

يتمتع العالم الإسلامي بمميزات متعددة أكسبته أهميةً كبيرةً كما جعلته موطن الصراع بين القوي العالمية المختلفة ، ومن هذه المميزات :

أولاً موقعه الاستراتيجي :

العالم الإسلامي يشغل قلب العالم القديم (آسيا ،إفريقيا ،أوربا) ويمتد على مسافة تقدر بنحو 20ألف كم من الشرق إلى الغرب ، من ايريانا في اندونيسيا إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي ، كما يبلغ امتداده من الشمال إلى الجنوب أكثر من سبعة آلاف كيلو متراً .

امتداد العالم الإسلامي من الشمال إلى الجنوب أكثر من سبعة ألف كيلومتراً ، من جبال الآرال شمالاً إلى موزمبيق جنوباً .

يشرف العالم الإسلامي على الأذرع المائية من البحار والمحيطات ويتحكم في منافذها الهامة .

البحار الهامة التي يشرف عليها العالم الإسلامي هي :

البحر الأبيض المتوسط : يعتبر من أهم بحار العالم من حيث القيمة التاريخية والتجارية ، وتشغل أرض الإسلام ساحله الجنوبي وساحله الشرقي وبعض سواحله الشمالية –ألبانيا وآسيا الصغرى- وكان في العصور الوسطي بحيرة إسلامية

ازدادت أهمية البحر المتوسط في العصور الحديثة بعد شق قناة السويس وبعد انتشار المواصلات الجوية حيث أصبح طريقاً إجبارياً للطيران التجاري الجديد .

البحر الأحمر : هو بحر إسلامي يمتلك المسلمون سواحله كلها وقد ازدادت أهميته بعد اتصاله بالبحر الأبيض المتوسط بقناة السويس ، فأصبح أخطر طرق المواصلات البحرية في العالم باعتباره حامل البترول ومعبر التجارة

الأساسية ومجال تدفق القوة العسكرية ما بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلسي وبين المحيط الهندي والهادي ، ويبلغ طوله 3384كم ومتوسط عرضه 240كم ويقترب عند

يقترب عند بداية البحر الأحمر من الجنوب مضيق باب المندب ، فلا يتجاوز الفاصل المائي 33كم مما يسهل العبور بين جنوب غرب آسيا وشرق إفريقيا .

بحر العرب : يمتد من مضيق باب المندب إلى الهند ويمتلك المسلمون سواحله جميعاً .

الخليج العربي :بحيرة إسلامية تشرف عليه سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية وإيران والعراق .

البحر الأسود :بحيرة إسلامية قبل أن يمتد الروس إلى بقاعه وسواحله الشمالية بموجب اتفاقية كوجك قينارجي عام 1774م

أصبح البحر السود بحيرة روسية بموجب اتفاقية كوجك قينارجى عام 1774م حيث أصبح لهم منفذ مباشر عليه وحصلوا على حق المرور بسفنهم في المضايق .

بحر البنغال : تقع عليه بنغلادش وإقليم أراكان الإسلامي في بورما .

بحر الصين الجنوبي : يطل عليه العالم الإسلامي من جهة ماليزيا الشرقية ، وبروني ، وبورنيو الاندونيسية ، وموروفي جنوب الفلبين .

هذه البحار تمثل أهمية كبري لموقع العالم الإسلامي الاستراتيجي ، إذ يقع في قلب العالم القديم والحديث .

المحيطات الهامة في العالم الإسلامي

المحيط الأطلسي : يمتلك المسلمون معظم سواحل إفريقيا الغربية المطلة على هذا المحيط من طنجة شمالاً إلى بيافرا جنوباً .

المحيط الهندي : يمتلك المسلمون قسطاً كبيراً من ساحل إفريقيا الشرقية (الصومال ، وتنزانيا) المطلة على هذا المحيط كما يمتلكون شواطئ آسيا الجنوبية من باب المندب إلى كراتشي (بحر العرب) وشواطئ ماليزيا واندونيسيا .

المحيط الهادي : يطل على العالم الإسلامي من خلال بعض جزر اندونيسيا والفلبين .

أهم المنافذ المائية التي يتحكم فيها العالم الإسلامي

مضيق جبل طارق : يتحكم في اتصال المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض المتوسط .

مضيق بنزرت : يتحكم في اتصال حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي بحوضه الشرقي .

مضيق الدردنيل والبسفور : وبينهما بحر مرمره ويتحكمان في اتصال البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأسود .

قناة السويس : وهي أهم المنافذ المائية الاصطناعية في العالم ويتحكم في اتصال البحر المتوسط بالبحر الأحمر .

مضيق باب المندب وخليج عدن : يتحكمان في اتصال البحر الأحمر ببحر العرب والمحيط الهندي .

مضيف باب المندب (أو بوابة الدموع) لا يزيد اتساعه عن 33كم تقسمه جزيرة ميون أو بريم إلى قسمين ، ضيق من جهة الشرق 3كم فقط والباقي من جهة الغرب .

مضيق هرمز وخليج عمان : ويحكمان اتصال الخليج العربي بالمحيط الهندي .

مضيق ملقا وسنغافورة : ويحكمان اتصال المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي والمحيط الهادي .

موقع العالم الإسلامي أكسبه أهميةً إستراتيجيةً وعسكريةً لها خطورتها في ميزان القوي الدولية . وهذا يفسر الاضطرابات والخلافات الحادة بين الدول ذات النفوذ على العالم الإسلامي

الدول ذات النفوذ تعمل على إبقاء العالم الإسلامي مضطرباً وتعمل على إثارة المشاكل حتي يبقي ممزقاً يسهل التحكم فيه.

وهذا يفسر الأسباب التي جعلت الدول الكبري تثير النزاعات بين أقطار المغرب العربي ، مشكلة تشاد ، قضايا المسلمين في اثيوبيا واريتريا والصومال ، النزاع في اليمن ، الحرب العراقية الإيرانية ، المشكلة الفلسطينية ، وغيرها من المشاكل

ثانياً : وفرة الثروات في العالم الإسلامي وتنوعها

يمتاز العالم الإسلامي بأهميته الاقتصادية بما حباه الله من ثروات متنوعة زراعية ومعدنية وحيوانية وهذه فكرة موجزة عن هذه الثروات :

الثروات الزراعية : العالم الإسلامي فيه أراضي زراعية واسعة وتجري فيه الكثير من الأنهار الهامة منها : نهر النيل والنيجر والملوية والسوس في إفريقيا ودجلة والفرات والسند والغنج وسرداريا (سيحون) وامودايا (جيحون) والعاصي والليطاني والأردن في آسيا ، بالإضافة إلى مياه العالم الإسلامي الجوفية الكثيرة .

نظراً لاتساع العالم الإسلامي يتنوع مناخه ، الأمر الذي يؤدي إلى تنوع الثروات الزراعية والذي يؤدى بدوره إلى التكامل الزراعي الذي لا يتوفر لأي عالم غير عالم الإسلامي وهذا بدوره يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي .

الأقاليم المناخية الإسلامية

المناخ الاستوائي : حار ممطر طوال العام غابات كثيفة ويسود في الملايو وأكثر الجزر الاندونيسية وجنوب السودان

المناخ الموسمي :حار ممطر صيفاً وغاباته كثيفة ويسود في بنغلاديش واليمن وعمان ونيجيريا وساحل خليج غينيه وهضبة الحبشة .

المناخ السوداني : حار ، أمطاره صيفية وأقل من أمطار المناخ الموسمي وتنمو فيه الأعشاب الطويلة –السافانا –التي تصلح كمراعي ، يسود في السودان وتشاد والنيجر ومالي والسنغال .

المناخ المعتدل الدافيء : مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط ويسود على سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية والشرقية والشمالية .

المناخ القاري : وهو إما صحراوي حار في الصحراء الإفريقية الكبري وشبه جزيرة العرب وجنوب إيران وجنوب باكستان وصحراء ثار في الهند أو صحراوي بارد في هضبة إيران وهضبة الأناضول والتركستان .

الغلات الزراعية الهامة في العالم الاسلامي

الأرز : ماليزيا ، بنغلاديش ، باكستان ، مصر ، اندونيسيا .

القمح : إيران ،أفغانستان وتركيا وباكستان والشام والعراق وأقطار المغرب العربي .

الخضروات والفواكه : إقليم البحر الأبيض المتوسط ، الموز في الصومال وافريقية الغربية والحمضيات في تركيا وشمال إفريقيا وبلاد الشام وخاصة فلسطين ، ونخيل التمر في المناطق الصحراوية . هذا إضافة للكثير من الخضروات التي توافرت لها كل مقومات الإنبات من مناخ وتربة وري.

القطن : ينتج العالم الاسلامي أنواعه المختلفة :

أ-طويل التيلة : في مصر والسودان

ب-متوسط التيلة : في تركيا وباكستان وأفغانستان وإيران

ج-قصير التيلة : في المغرب العربي وباكستان

يزرع القطن في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي في إقليم تركستان في وادي سرداريا وامودايا وفي أذربيجان وداغستان غربي بحر قزوين وتنتج المنطقة وحدها أكثر من إنتاج دول العالم الاسلامي مجتمعة .

يصل إنتاج العالم الاسلامي إلى 40% من الإنتاج العالمي وتستغل بذور القطن في صناعة زيت القطن .

الحبوب الزيتية : لصناعة الزيوت النباتية كالسمسم في مصر والسودان واندونيسيا وتركيا ، والفول في السودان ونيجيريا .

الأشجار الزيتية : زيت النخيل وجوز الهند في اندونيسيا وماليزيا وبنغلاديش والزيتون في إقليم البحر الأبيض المتوسط .

قصب السكر : في باكستان واندونيسيا وبنغلاديش ومصر .

بنجر السكر : في تركيا وسوريا وإيران وأفغانستان .

المطاط : من محاصيل الأشجار الغابية في الإقليم المداري وتنتج نيجيريا 72% من الإنتاج العالمي ، وينتج في الملايو.

الغلات العلفية : الذرة والشعير والبرسيم والشوفان في كثير من البلدان الإسلامية التي تربي الأبقار .

الثروات الحيوانية : العالم الاسلامي فيه الكثير من المراعي الطبيعية الواسعة :

أ-السافانا : هي الحشائش التي تتخللها الأشجار وتوجد على نطاق ضيق في بعض الأجزاء الغربية من باكستان ، والأجزاء الشرقية من جزيرة جاوه ، وبعض جزر اندونيسيا الشرقية والسودان ومالي وشمال شرق نيجيريا .

ب-الأستبس : هي السهوب ذات الحشائش الخالية من الأشجار وتوجد في مالي وموريتانيا والنيجر ووسط السودان

كذلك توجد الاستبس في الصومال والجزائر والمغرب والتركستان وهضبة الأناضول وبعض أجزاء هضبة إيران

الكلأ الصحراوي : هي الأعشاب الشوكية والشجيرات القصيرة وتوجد في الصحراء الكبري الإفريقية والصومال وشبه جزيرة العرب وهضبة إيران وجنوب تركستان .

وجود هذه المراعي أدي لانتشار تربية الإبل والماعز في الصحراء العربية والخيول والأغنام والجمل ذو السنامين والياك (وهو حيوان يشبه البقر) في تركستان والإبل والبقر والماعز والأغنام في أفغانستان وإيران . والخيل والبقر والماعز من نوع الأنجورا المشهورة بشعره الجيد في تركيا

الثروة المائية وصيد البحر

يطل العالم الاسلامي بجبهات طويلة على مسطحات الماء لمجموعة من البحار التي تتوغل في جسم اليابس على شكل خلجان وأذرع كبيرة .

كذلك يحتوي العالم الاسلامي على أنهار كبيرة وبحيرات وبحار داخلية كبحر قزوين مما جعله غنياً بالثروة المائية وصيد البحر ولكن استغلاله لهذه الثروات قليل في الوقت الحاضر .

بعض الدول العربية الإسلامية استفادت من التقنية الحديثة في الاستفادة من صيد البحر من المغرب في أغادير .

أهم الثروات المائية

الأسماك : وتستغلها اندونيسيا وباكستان وتركيا وماليزيا ومصر والمملكة العربية السعودية ومملكة المغرب .

الأسفنج : ويصاد من أعماق تتراوح بين 6 أقدام و15 قدماً ويكون صيده بالقرب من سواحل البحر الأبيض المتوسط وسواحل البحر الأحمر .

اللؤلؤ : ويصاد من مياه الخليج العربي وبالقرب من سواحل باكستان وبعض مناطق البحر الأحمر وكانت له شهرة تاريخية كبيرة وقد أخذت أهميته الاقتصادية تتدهور تحت ضغط منافسة اللؤلؤ الصناعي الرخيص الثمن .

الثروة المعدنية : العالم الاسلامي عني بمعادنه المستغلة والغير مستغلة أهمها :

أ-البترول والغاز الطبيعي : وتحتل دول العالم الاسلامي المركز المتفوق في مجال إنتاجه واحتياطيه الذي يقدر بأكثر من 75% من احتياطي العالم كله .

أهم مناطق إنتاج البترول والغاز الطبيعي :

أ-منطقة الخليج العربي : السعودية والعراق وإيران والكويت وقطر وعمان والأمارات العربية .

ب-منطقة جنوب شرق آسيا : ماليزيا واندونيسيا . بروني

ج-منطقة قفقاسيا بين بحر قزوين والبحر الأسود وتستغله روسيا السوفيتية

د-منطقة خليج السويس ، مصر

و-منطقة شمال إفريقيا ، ليبيا والجزائر .

هـ-منطقة غرب إفريقيا نيجيريا

وكانت الشركات الأجنبية تتلاعب كما تشاء في إنتاجه وتسويقه إلى أن تكونت منظمة الدول المصدرة للبترول الأوبك عام 1960م فحافظت على الأسعار .

استخدم الملك فيصل بن عبد العزيز سلاح البترول في حرب عام 1973م .

الدول العشرة المصدرة للبترول ، السعودية ، الكويت ،الاتحاد السوفيتي المكسيك ، إيران ، العراق ، ابوظبي الولايات المتحدة وفنزويلا وليبيا .

الفوسفات : ويستعمل لصناعة الأسمدة وتنتجه كل من المغرب والجزائر وتونس والسنغال ومصر والأردن وسوريا

الكوبلت من معادن السبائك ويمنع الصلب من الصدأ تصنع منه الطائرات النفاثة والآلات التي تدخل في صناعة الأسلحة الذرية والمملكة المغربية هي رابع دولة في العالم في إنتاجه الكروم هو معدن يستعمل في صناعة السبائك المعدنية ينتج45% وتنتجه تركيا وإيران وباكستان والسودان

الحديد : تنتجه ماليزيا وتركيا وإيران وباكستان ومصر وغينيا وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس .

القصدير : هو معدن تحتاجه الصناعات المعدنية الهامة فهو يشترك مع النحاس لتكوين البرونز ، ويستعمل في صناعة الصفيح والعلب التي تحفظ المأكولات وفي عمليات اللحام والسبائك البرونزية ينتج العالم الإسلامي أكثر من نصف الإنتاج العالمي من بلدان ماليزيا واندونيسيا وأقطار المغرب العربي وإيران وتركيا ونيجيريا .

المنغنيز يدخل في صناعة السبائك والصلب وفي الصناعات الكيميائية وأهم البلدان مصر والمغرب وتركيا .

الرصاص وينتج في إيران وتركيا والمغرب والجزائر وتونس ، إضافة لأملاح الصوديوم والبوتاسيوم والبروم والمغنيزيوم- الأملاح المعدنية .أشهر أماكن استغلال هذه الأملاح الهامة ، البحر الميت حيث يقوم العدو الإسرائيلي باستغلالها في فلسطين .

من المعادن الهامة في العالم الإسلامي : الكولمبايت وتنتجه نيجيريا 90% من الإنتاج العالمي ويستغل بعد خلطه بمعادن أخري في صناعة محركات الطائرات النفاثة ، كما توجد معادن أخري ، الذهب والنحاس والتيتانوم والتنجستن والفحم الحجري واليورانيوم .

الثروة الصناعية

مقومات الصناعة متوفرة في العالم الإسلامي وتتمثل في :

أ-توفر المواد الخام من موارد زراعية وحيوانية وغابية .

ب-توفر مصادر الطاقة –القوي المتحركة من بترول وغاز طبيعي ومساقط مياه لتوليد الكهرباء وفحم حجري وطاقة شمسيه

ج-توفر رؤوس الأموال وخاصة في البلدان المنتجة للبترول

د-توفر الأيدي العاملة وخاصة في اندونيسيا ومصر وباكستان ومصر وسوريا وتونس

و-توفر الأسواق الاستهلاكية لاتساع العالم الإسلامي .

العالم الإسلامي مركز المواصلات العالمية

العالم الإسلامي مركز للمواصلات العالمية البرية والبحرية والجوية ويعود ذلك إلي :

أ-موقع العالم الإسلامي في قلب العالم القديم والجديد .

ب-إشرافه على البحار والمحيطات العالمية الهامة .

ج-توفر مواد الوقود والموانئ الجوية والبحرية .

د-صفاء أجوائه معظم أيام السنة الذي جذب خطوط الطيران وقد زادت هذه الأهمية بشق قناة السويس التي سهلت الاتصال بين الشرق والغرب .

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة الثالثة

العوامل الداخلية لضعف العالم الإسلامي :

التحول من ماضي الأمة الإسلامية المجيد إلى حاضرها

- واجه الإسلام منذ ظهوره في مكة إلى أن قامت دولته في المدينة الكثير من التحديات ، تحدي وثنية قريش ، وتحدي أهل الكتاب والنصارى داخل شبه الجزيرة العربية .
- كذلك تعرضت دولة المدينة إلى محن داخلية إذ تمكن عبد الله بن سبأ اليهودي من بذر التناقضات بين المسلمين .
- اشتد التحدي بين الإسلام وبين من تظاهر بالإسلام من أهل الكتاب ومن الفرس والمجوس واستمرت الأحداث زمن الأسرة الأموية ، العوامل الداخلية أهم من العوامل الخارجية التي أثرت على نقل العالم الإسلامي من ماضيه المجيد إلى حاضره الأليم .

العوامل الداخلية

العوامل الداخلية التي أدت إلى ضعف العالم الإسلامي تتمثل في :

1-انشقاق المسلمين إلى فرق :

فقد نجحت القوي الحاقدة على الإسلام المتسللة في صفوف المسلمين وفي شق المسلمين وصدعهم . فظهرت فرق الخوارج وفرق الشيعة وقد ناهضت كل منهما أهل السنة والجماعة ، فعمل ذلك على تبديد طاقة المسلمين المادية والعسكرية والفكرية بتوجيهها إلى صراعات دامية . ظهرت فرق أخرى كالمرجئة والجهنية والمعتزلة وغيرها مما أقلقت بال المسلمين عليهم ، فكان من الطبيعي أن يواجه الإسلام هذه التحديات التي تمثلت في الوثنية واليهودية والنصرانية والمجوسية وأن تتعرض أمة الإسلام إلى الكثير من التحديات الداخلية والخارجية.

2-اشتغال المسلمين بالفلسفة وعلم الكلام :

اشتغل بعض المسلمين في العصر العباسي الأول (132-232هـ) بترجمة العلوم اليونانية والهندية إلى اللغة العربية ثم انحرف هذا الاتجاه إلى ترجمة الفلسفة الإلهية الإغريقية فدخلت الحياة الفكرية في العالم الإسلامي . كان ابن المقفع وحنين بن اسحق وثابت بن قرة واضرابهم من الذين حملوا لواء هذا العمل . الذي كان غايتهم نقل مذاهبهم وأفكارهم وأديانهم إلى الفكر الإسلامي .

-- كان هؤلاء النقلة من السريان في أغلبهم والجزء الأقل كان من اليهود فنقلوا ما نقلوه وفق أهواءهم الخاصة وأكثرهم لم تكن غايته البحث عن الحقيقة بل كان همهم الدعوة إلى شيعتهم وتزيين أهوائهم الدينية وإدخال ما ليس في الإسلام فيه ، لذلك كانوا يغيرون ويبدلون النصوص التي بين أيديهم خدمة لأغراضهم .

ظهر علم الكلام متسلحاً بالمنطق الذي كان الوسيلة لتنمية القدرات العقلية للفيلسوف حتي يتأهل للتلقي عن العقل الفعال .

ذم الفقهاء الكلام وأهله قال أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة وصاحبه:" من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ومن طلب غريب الحديث كذب "

قال الإمام الشافعي : " حكمي في أهل الكلام أن يطاف بهم في القبائل والعشائر ويضربوا بالجريد والنعال "

قال : الإمام " كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام لجدل هؤلاء "

قال ابن الحصار :" إنما ظهر التلفظ بها زمن المأمون بعد المائتين لما ترجمت كتب الأوائل وظهر فيها اختلافهم في قدم العالم وحدوثه .

في القرن الرابع الهجري اتخذت الفلسفة طابع التحدي لعقيدة الإسلام علي يد ابن سينا (370-428هـ) الذي يعتبر من أخطر فلاسفة المسلمين ، وقد نعته الذهبي بأنه : " رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول وخالفوا الرسول " وتاب في آخر أيامه .

روي عن ابن سينا تلميذه ابن أبي أصيبعه " أنه كان يجتمع كل ليله في داره طلبة العلم وكنت أقرأ من الشفاء وكان غيري يقرأ من القانون .

استجاب والد ابن سينا للإسماعيلية الفاطمية ، من أشهر نظريات ابن سينا نظرية المعرفة التي وضع فيها الفلاسفة على قدم المساواة مع الأنبياء . لو كان هنالك الوعى الكامل لاقتصرت الترجمة على ترجمة العلوم البحتة كالهندسة والطب والفلك وغيرها من العلوم النافعة بشرط أن تكون صياغة ترجمتها متفقة مع عقيدة الإسلام .

3-الانقسام السياسي لدولة الإسلام :

فقد أفلحت النعرات السياسية في تصعيد بعض التناقضات وتعميق روح الخلافات فأدت إلى الصدع بين الزعامات المسلمة ، وجاء وقت القرن الرابع الهجري –كان في العالم الإسلامي ثلاثة خلفاء الخليفة العباسي الشرعي في بغداد والخليفة الفاطمي في مصر والخليفة الأموي في الأندلس ، مما أدى إلى اهتزاز ثقة المسلمين بالخليفة ثم هانت عليهم الخلافة .

أدي ذلك إلى إضعاف العلم الإسلامي في مواجهة أعدائه فتوقف المد الإسلامي ثم أخذ بالانحسار ليعود إلى المد من جديد في عهد الدولة العثمانية حاملاً معه بذور الضعف . استطاعت كل هذه الانقسامات والفتن والمشاعل والنعرات القبلية كلها عملت على زرع بذور الفتنة الشقاق والانقسام الذي أضعف العالم الإسلامي .

4-الشعوبية :

اكتسبت الشعوبية مفهوماً خاصاً فأطلقت على محتقري العرب والذين يصغرون شأنهم ، فهي والحالة هذه تعني التعصب ضد العرب وقد بدأها الذين تسللوا إلى الإسلام وهم يحقدون عليه من اليهود والنصارى والمجوس وقد رد بعض العرب بالتعصب للعرب فخالف المتعصب ضد العرب والمتعصب للعرب .

استغلت الحركة الشعوبية الأدب واللغة والشعر العربي والتأليف والمفاخرة والمفاضلة بين العجم والعرب فكانت الشعوبية نزيفاً وضعفاً في الأمة الإسلامية في وقت تزايدت فيه أخطار التحديات الخارجية على المسلمين وعلى العالم الإسلامي مثل التحدي الصليبي والمغولي تلك التحديات التي أضعفت كل البلاد الإسلامية ومزقت شملها وفرقت أهلها وجعلتهم فرقاً وشيعاً ساعدت على الانقسام والتشتت .

5-الباطنية :

كانت من أكبر عوامل الهدم من الداخل فقد ضمت جميع العناصر المناهضة للإسلام ، من زرادشتية ومانوية ويهود ونصاري وكانت التناقضات فيها تبيض وتفرخ لأنها عاشت في الظلام وآمنت بالتقية بل وجعلتها أساس عقيدتها .

-الباطنية عاشت في وهم اعتقدت حرية الشهوات واللذات وعمدوا إلى صرف ألفاظ الشرع عن معانيها ومقاصدها وحملوها أمور باطنه .

-للباطنية الكثير من الخرافات والأساطير والخزعبلات التي صورها في الباطن وعملوا بها ودعوا إليها في عقيدتهم الباطنية الإسماعيلية .

لجأت الباطنية إلى الفلسفة التي استمدوا منها أوهامهم فضمت فلاسفة ومفكرين مثل إخوان الصفاء وبعض الشعراء مثل أبي العلا المعري. وعلماء مثل أني حيان التوحيدي وابن سينا .

-تمكنت الباطنية من إفراز جناح عسكري في القرن الخامس الهجري بقيادة الحسن الصباح الذي اتخذ قلعة الموت سنة 483هـ مركزاً له ويبث من خلالها دعوته ليخدعوا البسطاء ويستعينوا في التأثير على الإتباع بالمخدر أو الحشيش ولذلك سموا بالحشاشين وقد بقيت هذه الفرقة تثير الفتن وتنشر الرعب .

-تعاونت الباطنية مع الصليبين في الشام ضد المسلمين واغتالوا عدداً من قادة الإسلام كما حاولوا اغتيال صلاح الدين إضافة أن الباطنية تبرأت من الصحابة رضوان الله عليهم ، شوه الباطنية صور شخصيات كثيرة من صدر الإسلام ودسوها في كتب التاريخ والأدب .

وقفت الباطنية إلى جانب الصليبين في حربهم ضد الإسلام والمسلمين وخاصة في دمشق عام 523هـ وإلى جانب المغول كما حدث في تخريب بغداد عام 656هـ .

-القرامطة من الباطنية فتاريخهم معروف في محاولتهم القضاء على الإسلام والمسلمين وهجومهم على بيت الله الحرام واستحلال دماء المسلمين ونزع الحجر الأسود .

-بقيت الباطنية فرقة تنخر في جسم الأمة الإسلامية تثير الفتن وتعمل على تشكيك المسلمين في دينهم بابتداع كل المسائل الهدامة التي ليست لها علاقة بقيم الإسلام وكلها تحت مظلة الباطن .

-تمكن أعداء الإسلام من حملة التشويه المتعمدة التي لحقت برجالات القرن الأول الهجري نظراً لأنهم موضع الفخر والاعتزاز الشديد .

الصوفـية :

-نشأ التصوف من ينبوعين مختلفين تلاقيا هما الأول هو انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة وقد نهي النبي ρ عن ذلك فقال : " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني "

-الثاني ما سري إلى المسلمين من فكرتين : الأولي فكرة الاشراقيين من الفلاسفة وهم يرون أن المعرفة تقذف النفس بالرياضة الروحية والتهذيب النفسي والثانية : فكرة الحلول الإلهي في النفوس الإنسانية وقد ابتدأت هذه الفكرة تدخل في الطوائف التي كانت تنتمي كذباً إلى الإسلام في الصدر الأول عندما اختلط المسلمون بالنصارى وظهرت في السبئية والكيسانية والقرامطة والباطنية .

ظهر التصوف في الإسلام واشتد في القرن الرابع والخامس الهجري ثم بلغ أقصي مداه بعيداً عن هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة حتي بلغ أن المتصوفة يسمون من يتبع القرآن والسنة –أهل الشريعة – وأهل الظاهر- ويسمون أنفسهم أهل الحقيقة وأهل الباطن فالتقت الصوفية مع الفلسفة والباطنية وحجبت كثيراً من المخدوعين عن فهم حقيقة العبادة وعمدت على تقديس المشايخ وأنتجت التواكل بدلاً من التوكل الذي أفسد كثيراً من العقيدة .

-الصوفية انتشرت في المجتمع الإسلامي زمن العباسيين ولكنها كانت ركناً منعزلاً عن المجتمع وفي عهد الدولة العباسية صارت هي المجتمع وأصبحت بالنسبة للعامة هي المدخل إلى الدين ومجال ممارسته فتسلطت مجموعة من الخرافات والأوهام التي تتعلق بالمشايخ الأحياء منهم والاموت وصار التدين هو الإيمان .

-تعلقت الصوفية بالمشايخ وصار التدين هو الإيمان بالشيخ وكراماته وبأحواله وقدرته على اشتفاف الغيب ، وعلى شفاء المرضي من غير دواء وقدرته على فك طلاسم السحر واستخراج الشياطين من أجساد من تسلطت عليهم كما أصبح التصوف يتعلق بالأضرحة والأولياء ونذر النذور لهم والتقرب بالقرابين دون عمل حقيقي بمقتضي الدين وقد أصبح هذا في حس العامة هو الدين .

-أدرك أئمة المسلمين وعلماؤهم أهداف الفلاسفة والباطنية والصوفية فكانت لهم جهودهم الموفقة في تفنيد دعواهم ورد كيدهم وإبراز الحق واضحاً عليهم من خلال مصادره الأصلية كتاب الله تعالي وسنة رسوله المطهرة ومن ابرز العلماء الأئمة الأربعة ثم الإمام ابن تيميه وابن القيم اللذان كانت لهم صولات مع أرباب البدع وأئمة الكلام وأساطين الفلسفة فأوسعوا نظرياتهم وأقوالهم نقصاً ونقداً .

7-الإسرائيليات :

-هي جميع العقائد غير الإسلامية ولا سيما التي دسها أهل الكتاب من اليهود والنصارى بواسطة من تظاهر منهم بالإسلام ، فتمكنوا من دس تفاصيل كثيرة باطلة وتوسعات عديدة تتعارض من الإسلام القائم أصلا على التوحيد .

-المتصل اتصالاً واضحاً بالإيمان بالغيب والبعث والجزاء والمستمد من قواعد القرآن الكريم ومنهجه ومنطقه في مواجهة مختلف القضايا والأمور الخاصة فيما بتعلق بعالم الغيب وما وراء المحسوس وعلى عصمة الأنبياء والرسل .

-تكونت مدارس التفسير في زمن الصحابة والتابعين وتداولت تلك المدارس مجموعة من التفسير بالمأثور المنسوب بعضه إلى النبيρ والمنسوب كثير من إلى الصحابة .

-وأكثره منسوب إلى التابعين كمجاهد وقتادة ومسروق والحسن البصري وعكرمة مولي ابن عباس وغيرهم وهم كثيراً ما اختلط بتفسيرهم من الإسرائيليات ، وادخل أعداء الإسلام عبر هذا الباب الكثير من الأوهام المضللة التي شكلت انحرافاً للعقيدة الإسلامية الحقة .

- توسع التابعون في الأخذ عن أهل الكتاب فكثرت الروايات الإسرائيلية في التفسير لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام وميل نفوس الناس إلى سماع التفاصيل .

- جاء من بعد هؤلاء التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يريدون قولاً ولا يحجمون أن يلصقوا بالقرآن الكريم كل ما يروي لهم وإن كان بعيداً عن النص كالروايات في اسم الشجرة التي أكل منها آدم وأسماء أهل الكهف واسم كلبهم وغيرها من الخرافات والأساطير .

-نجح أهل الكتاب في دس الإسرائيليات وأبرز ما فيها مادة الكهانة والتنبؤات التي كان لها أثر سيء في عصور الضعف على المسلمين وفي فترة الركود والتخلف وشملت تفسيرات أهل الكتاب للآيات القرآنية والتوسع في أوصاف الملائكة والجنة والنار والحشر وتصوير ذلك تصويراً يخرج بها عن أصلها القرآني .

- ذهب الكثير من الباحثين إلى أن أكثر الأحاديث الموضوعة عن الإسرائيليات إنما وضعت بتدبير وتخطيط خصومه وكيد وأنها من عوامل الحرب الفكرية والعقائدية الضاربة التي شنها اليهود وغلاة النحل المبتدعة على الإسلام والمسلمين بكافة الوسائل .

- تنبه علماء المسلمين إلي مقاصدهم وإلى هذا الخطر منذ وقت مبكر فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يحذر من الأخذ عن أهل الكتاب وكتابكم القرآن الكريم وضح لكم ذلك .

وأثر عن الإمام ابن حنبل قوله " ثلاثة لا أصل لهم :" التفسير والملاحم والمغازي " أي أنها ليست ذات أسانيد صحيحة متصلة .

8-التعصب المذهبي :

- شاعت منذ القرن الرابع الهجري بدعة التعصب المذهبي فأنتج ذلك مخالفة الكثير من النصوص الصحيحة وتقديم الرأي عليها ونشر الفتن والخلاف بين المسلمين والتحايل على الذين والجمود على التقليد وإغلاق باب الاجتهاد والاشتغال بالافتراضات الخيالية ، الأمر الذي أدي إلى شيوع الجهل على المدى الطويل .

- منع الاجتهاد بعد القرن الرابع الهجري ثم ساد اختيار كتب الفقه المتأخرة الخالية من الأدلة الشرعية فقلت دراسة الكتاب والسنة والرجوع إليها عند الخلاف فانحرف الناس عن السنة .

-ووصل الأمر أن أبا الحسن عبيد الله بن الحسن الكوفي رئيس الحنفية بالعراق في القرن الرابع الهجري الذي صنف المختصر وشرح الجامعين الصغير والكبير لمحمد بن الحسن قال : " كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة وكل حديث فهو مؤول أو منسوخ . فقدم أهل المذهب على أهل الكتاب والسنة فما الفرق بين قوله وأقوال الصوفية والباطنية والفلاسفة ؟

- وصل الخلاف بينهم والخصام بين مقلدة المذاهب درجة خطيرة فعادي بعضهم بعضا وصار يسعي بعضهم بالكيد والأذى للبعض الآخر فتسبب ذلك في الكثير من الفتن والقتال فيما بينهم .

- حاول بعض العلماء أن يقفوا في وجه التيار المتعصب فكان نجاحهم ضئيلاً بسبب تعميق فكرهم وسط ضعاف الإيمان الذين زينوا أعمالهم وعملوا على نشرها في أوساط طبقاتهم .

- قال العالم منذر بن سعيد البلوطي خطيب الخليفة عند الرحمن الناصر بالأندلس يشكو حال المذهبيين ومواقفهم من الكتاب والسنة :

عذيري من قوم يقولون كلما — طلبت دليلاً هكذا قال مالك

فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب — وقد كان لايخفي عليه السالك

فإن زدت قالوا سحنون قبله — ومن لم يقل ما قاله فهو آفك

فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا — وقالوا جميعاً أنت قرن مماحك

وإن قلت قال الرسول فقولهم — ائت مالكاً في ترك المسالك

- أدت هذه التحديات الداخلية وما رافقها من تحديات أخري وتحديات خارجية إلى شدة الضغط على العالم الإسلامي وقادت إلى الضعف والتفكك والانحلال وتردي المسلمون إلى حاله من العجز والتدهور .

- العجز الذي أصاب الأمة الإسلامية بسبب كل هذه الأسباب عجزت به الأمة في مجال الاختراع والإبداع بل ساهم في الجمود والتقليد والتواكل والانحراف عن النهج القويم والابتعاد عن الشريعة وشاب إيمان المسلمين الكثير من الكدر فانهارت قواهم ووقع العالم الإسلامي لقمة سائغة في يد الاستعمار الأوربي الحديث وخر صريعاً أمام الهجمات الشرسة التي قادتها الصليبية الحديثة بمشاركة الصهيونية والشيوعية وكل ذلك عمل على تأخير أمة الإسلام .

- هذه الأسباب الداخلية تأتي في جملتها داخل إطار هدم الإسلام وتقويض نفوذه من قبل الأعداء الذين يتربصون بنا الدوائر ولكن علينا بوحدة الصف وجمع الشمل تحت راية الإسلام الخفاقة الفتيه وان شاء الله عائدون لمجدنا التليد الذي لا خيار غيره لإصلاح حال الأمة

جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة الرابعة

العوامل الخارجية التي أدت لضعف العالم الإسلامي

التحدي المغولي " التتري " :

- المغول والتتار قبائل موطنهم الأصلي منغوليا –شمال صحراء غوبي –وكانت هذه القبائل تقضي أوقاتها في النزاعات القبلية للبحث عن منابت العشب وبواطن المياه .

-دانت هذه القبائل بالوثنية التي تعرف باسم –الشامانية- تقول بوجود قوتين " قوة الخير والنور والدفء وقوة الشر والظلام والبرد ويسكن إله الخير في الشرق وإله الشر في الغرب وتقوم ممارساتها على السحر وعلى الرشاقة الجسدية من رقص وغيره فاكتسبت كلمة شامان معني الساحر .

استطاع تيموجين بن بسوكاي الذي ولد في منغوليا عام 449هـ/1155م أن يوحد هذه القبائل عام 603هـ / 1206م ووضع لهم دستوراً اجتماعياً حربياً مختصراً عرف باسم الياسةالكبري أو اليساق بالغ الشدة والعنف للطاعة فيه أكبر نصيب فكانوا أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم .

بعد أن وحدهم لقب نفسه –جنكيزخان – أي أعظم الملوك واندفع بهم إلى الصين واستولي على بكين عام 612هـ فاستولي بذلك على مزيد من الكنوز والنفائس وتعلم المغول استعمال البارود .

تمكن من القضاء على دولة الخطا السوداء –قرة خطي – التركية المتاخمة لبلاد الصين 615هـ فأصبح يطرق أبواب

العالم الإسلامي ويتحداه وكان هذا التحدي شريكاً لبعض الوقت للغزو الصليبي على عالم الإسلام وقد حمل بربرية

ووحشية غوضت الحضارة الإسلامية.

اصطدم جنكيزخان بالدولة الإسلامية الخوارزمية – وكانت قد ظهرت سنة 490 هـ / 1096 م بعد أن ضعفت دولة السلاجقة ، وكانت بمثابة السور الفولاذي المنيع ، الذي يحمي الجبهة الإسلامية من جهة المشرق ، تمتد من العراق العجمي غربا ، إلى نهر السند شرقا ، ومن شمال بحر قزوين ، وآرال شمالا ، إلى الخليج العربي . والمحيط الهندي ، جنوبا شاملة : أذربيجان ، والعراق العجمي ، وفارس ، وكرمان ، وكمران ، وسجستان ، وخراسان ، وأفغانستان ، والبامير ، والصغد ، وما وراء النهر . وكان على رأس هذه الدولة حين بدأت تطرقها المطارق المغولية السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه .

-هاجم جنكيزخان الدولة الخوارزمية سنة 616 هـ / 1219 م ، وخاضت خوارزم حربا مدمرة مدة خمس سنوات ، إلى أن تمزقت أوصالها ، واكتسح المغول أراضيها ، وأقاموا المجازر في بخارى .

-وسمرقند ، ومرو ، ثم بلخ ، ونيسابور ، والري ، وهمدان ، وغزنه ، فأبيد الملايين من السكان ، وتهدمت ألوف المساجد ، ودور العلم العامرة ، وتحولت حواضر الإسلام الزاهرة في تركستان ، وفارس ، إلى كتل من اللهب ، والخراب . وترك جنكيز الدولة الإسلامية الخوارزمية أشبه ما تكون بصحراء جرداء ، فأباد سكانها ، وخرب مدنها العامرة ، وأحرقها .

توفي جنكيزخان عام 624 هـ / 1227 م فقام حفيده هولاكو بإتمام دوره في بلاد الإسلام ، فتحالف مع الصليبيين ، وكانت أمه نصرانية قال عنها ابن العبري : " أحسنت تربية الأولاد ، وضبط الأصحاب ، وكانت لبيبة مؤمنة ، تدين بالنصرانية ، وتعظم محل المطارنة والرهبان ، وتقتبس صلواتهم وبركتهم " .كما كانت زوجته نصرانية ، وأعلن الخاقان الأعظم أنه إنما أرسل هولاكو إلى غرب آسيا ليقضي على الخلافة العباسية

كما كانت زوجته نصرانية ، وأعلن الخاقان الأعظم أنه إنما أرسل هولاكو إلى غرب آسيا ليقضي على الخلافة العباسية ، ويعيد بيت المقدس ، بعد أن كان قد حررها صلاح الدين عام 583 هـ .

-فاعتبر هولاكو نفسه محررا للنصارى من المسلمين ، وأرسل إلى الصليبيين قبل أن يبدأ غزوه المسلمين يقول :

" إن لدينا أعدادا كبيرة من المسيحيين بين قبائلنا ، وقد جئنا بقوتنا ، وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميع المسيحيين من العبودية ، ومن الضرائب ، التي فرضها عليهم المسلمون ، ومعلنين ضرورة معاملة المسيحيين معاملة تليق بهم ، فلا يعتدى عليهم ، ولا على تجارتهم أحد ونحن نصرح بأننا سنعيد بناء الكنائس التي خربها المسلمون " .

كما قام وزير المستعصم الخليفة العباسي وهو (ابن العلقمي محمد بن محمد) بمكاتبة هولاكو ،

قام وزير المستعصم الخليفة العباسي وهو (ابن العلقمي محمد بن محمد) بمكاتبة هولاكو ، وجسره ، وقوى عزمه على قصد العراق ، وابن العلقمي هذا رافضي شيعي ، قام بإضعاف الخلافة العباسية بمكائده المختلفة ، وأضعف الجيش ، وقلل عدده ، وأشار على الخليفة بمداراة هولاكو .

فاستطاع هولاكو بتشجيع من النصارى ، والشيعة ، الوصول إلى بغداد عاصمة دار الإسلام ، ودار السلام ، وبمساعدتهم تمكن دخول بغداد بجحافله ، فخربوا المساجد وأتلفوا المكتبات ، بإحراق الكتب ، أو بإلقائها في نهر دجلة ، وقتلوا معظم سكان بغداد دون أن يستثنوا امرأة ، أو طفلاً ، ودون أن يعطفوا على مريض ، أو يقدروا عالما .

قدر المؤرخون القتلى بمليون وثمانمائة ألف ، وبمليون ، وبثمانمائة ألفوقتل الخليفة المستعصم ، بتشجيع وتحريض من ابن العلقمي ، ونصير الدين الطوسي الاسماعيلي .

وكان ابن العلقمي يطمع أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة باتخاذه عند هولاكو يدا ، وعمل بالفعل على تعطيل المدارس والمساجد ، والجماعات ، والجمعيات ، والربط ببغداد ، واستمر بالمشاهد ، ومحال الرفض ، وكان يريد أن يبني مدرسة هائلة للرفض

وهكذا أصبحت بغداد – دار السلام – بفعل التتار ، والنصارى والرافضة مأوى لجماعة من النصارى ، والزلط ، والشيعة ، والوثنين فقد طلب هولاكو من بطريق النساطرة أن يجمع النصارى في إحدى الكنائس ، حتى يميزوا عن غيرهم ، فلا يتعرض لهم جند التتار .

وكان سقوط بغداد عاصمة الخلافة أشبه بزلزال رهيب ، دك بنيان بلاد الإسلام من أقصاها إلى أقصاها ، ونظم الشعراء من العرب ، والفرس المرائي التي تشيع الأسى في النفس وتثير الشجون .

تقدم هولاكو بعد ذلك إلى الشام ، وهاجم حلب ودخلها بعد حصار شديد وتركها شعلة من اللهب والدخان ، ودخل كتبغا دمشق ، فسقطت حاضرة الشام صريعة تحت أقدام المغول سنة 657 هـ ، واشتركت معه فرق نصرانية أرمنية ، وإفرنجية ، فسنحت للنصارى الفرصة للتشفي ، والانتقام من المسلمين ، فنظموا مواكب عامة ، حملوا فيها الصلبان ، وأنشدوا الأناشيد ، ويذمون دين الإسلام وأهله ، وأجبروا المسلمين على أن يقفوا احتراما لمواكبهم ، ومن امتنع تعرض للسب والإهانة ، وبلغ بهم التحدي أقصاه فدقوا النواقيس ، وتظاهروا بالخمر في رمضان ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات .

وقيض الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام : المماليك في مصر ، بقيادة قطز ، والظاهر بيبرس ، وعلماء مثل العز بن عبد السلام (سلطان العلماء ، فتحركت في الأمة روح الجهاد ، واستثيرت طاقات الأمة .

وتحركت جيوش الإسلام من مصر عام 658 هـ / 1260 م والتقت بجيوش المغول تؤيدهم وتؤازرهم بعض النجدات النصرانية من الأرمن والكرج – في عين جالوت – بين بيسان ، ونابلس ، على أرض فلسطين في 25 رمضان ، وألقى قطز بخوذته على الأرض أثناء المعركة ، وصاح بصوت كالرعد :" وإسلاماه ، اللهم انصر عبدك قطز على التتار "

فكتب الله النصر المبين للإسلام ، وانهزم المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم ، بعد أن كانت القلوب قد يئست من النصرة عليهم ، لاستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية ، ولأنهما ما قصدوا إقليما إلا فتحوه ، ولا عسكرا إلا هزموه .

فتكسرت حدة موجات التتار ، وتحول مدهم إلى جزر ، واسترجع المماليك منهم الشام بأكملها ، فكانت عين جالوت فاتحة سلسلة من الانتصارات توالت على المسلمين .

وبقي المسلمون يقاسون الأمرين من المغول ، في فارس ، والعراق ، واستمرت غاراتهم على الشام ، والمسلمون يردونهم ، كما حدث في وقعة حمص سنة 680 هـ .

وقد هداهم الله للإسلام فضاع على الصليبيين أملهم في الانتصار على المسلمين ، كما ضاعت مجهوداتهم من قبل في الشام ، فقد أعلن أحمد بن هولاكو إسلامه عام 680 هـ .

ولكن حالة المسلمين لم تمكنها من أن تبعث في نفوس المغول النواحي الإيجابية ، التي تقود إلى الأصالة ، وإلى المساهمة في رفع شأن الإسلام كدين ، وشريعة ، والمساهمة في بناء صرح الحضارة الإسلامية ، وأعمال (قازان) الذي غزا الشام ، واجتاحها ، سنة 699 هـ إلى سنة 702 هـ ، فاستمر العلماء يحرضون على جهادهم فكانت موقعة شقحب الفاصلة سنة 702 هـ ، التي انهزم فيها التتار هزيمة منكرة .

2- الحروب الصليبية :

مثل التحدي الصليبي ، التحدي الرئيسي في مواجهة الإسلام والمسلمين ، واستغلته اليهودية في صراعها مع الإسلام ، وقد حملت الدولة البيزنطية وزر مقارعة الإسلام فكريا ، وعسكريا ، من أول ظهوره ، إلى أن تهاوت وانهارت نهائيا تحت مطارق الإسلام عام 857 هـ / 1453 م .

فانتقل ذلك إلى الإمبراطورية الروسية ، والنمساوية ، وفرنسا ، وانجلترا ، في الوقت الذي كان فيه الاسبانيون ، والبرتغاليون ، يتحركون بدافع الحقد على الإسلام والمسلمين ، ويدفعون المسلمين عن الأندلس . وكل أولئكم يحركهم البابا في روما ، وتنفخ فيه الكنيسة روح الحقد على المسلمين ، وتثيرها حربا لا هوادة فيها . وبقيت هذه الروح هي المسيطرة حتى بعد أن انشقت الكنيسة الكاثوليكية ، وقامت بحركة الإصلاحات الدينية .

تمكن الأتراك السلاجقة أن يحيوا روح الجهاد في الأمة ، فحملوا راية الجهاد ، بعد منتصف القرن الخامس الهجري ضد البيزنطيين واصطدم سلطانهم ألب ارسلان بقوة بيزنطية هائلة ، كان يقودها الإمبراطور ديوجينس .

تشتت شمل النصارى في معركة ملاذكرد ، (مانزكرت) عام 463 هـ / 1071 م وكانت معركة من المواقع الحاسمة في التاريخ ، نتج عنها انتشار الإسلام في آسيا الصغرى ، وتركيزه ، وأصبحت من ذلك اليوم من ديار الإسلام – فاتجه أباطرة بيزنطة لتسوية الخلاف مع البابا ، واستنجدوا به لحمايتهم ، فوجدوا أذنا صاغية من البابا : (أوربان الثاني) الذي دعا للحروب الصليبية بإعلان (كليرمونت) عام 1095 م . بدأ التدفق الصليبي في الوقت الذي كان فيه المسلمون قد بدأوا بالتفتت والصراع ، بعد وفاة السلطان ملكشاه ، سنة 486 هـ / 1092 .

فانقسمت الدولة السلجوقية بعد خمس سنوات فقط من وفاته ، إلى خمسة ممالك متنافسة هي : مملكة فارس ، ومملكة حلب ، ومملكة دمشق ، وسلطنة سلاجقة الروم والعراق . وفي الوقت نفسه تعرضت بلاد الشام إلى انقسام آخر ، وظهرت

وحدات سياسية عرفت باسم (الأتابكيات) مثل أتابكية دمشق ، والموصل ، وبعضها، والأتابكيات ، النزاع والحروب .وبالإضافة لذلك فقد دخلت هذه الدويلات مع الدولة الفاطمية التي (تحالفت مع الحركة الباطنية الإسماعيلية) في صراع مرير ، استنفذ طاقاتها المادية والبشرية .وفي هذا الجو تدفقت جموع الصليبيين يشترك فيها أمراء الإقطاع والفرسان ورجال الدين . فانتصروا في البداية ، وأطاحوا بملك سلاجقة الروم ، واستولوا على عاصمتهم نيقية ، سنة 491 هـ / 1097 م ، وكونوا في بلاد الشام ، وآسيا الصغرى ، إمارة الرها ، وإمارة أنطاكية ، وإمارة طرابلس ، ومملكة بيت المقدس اللاتينية ، عام 492 هـ / 1098 م .

ومن الجدير بالذكر أن الحروب الصليبية قد بدأت في الجزء الغربي من العالم الإسلامي قبل هذا التاريخ ، فسقطت صقلية فريسة سائغة لهجمات النورمان سنة 484 هـ / 1091 م .

ومحيت من خريطة البلدان الإسلامية ، فكانت الشهيدة الأولى ، التي ذهبت ضحية الإهمال والتخاذل ، وأما الأندلس فكانت سنة 407 هـ .

مبدأ التفرق والتمزق فكان عصر ملوك الطوائف ، فأخذت كفة النصارى ترجح ، وأصدر البابا (اوربان) مرسوما حرم فيه على رجال الدين ، والفرسان الأسبان ، المشاركة في صليبيات الشرق ، لأن محاربة المسلمين بأسبانيا لا تقل أهمية واعتبارا عن الحرب الصليبية الشرقية ، فنتج عن ذلك أن هرع الكثير من الفرسان من مختلف أوربا إلى الأندلس ، ليساهموا في حرب صليبية هي أقرب سبيلا ، وأيسر مشقة وعناء ، وأعلن البابا (باسكال الثاني) الحرب الصليبية ضد مسلمي الأندلس .

وتشاء حكمة الله تعالى أن ينهض في كل دور من أدوار التاريخ الإسلامي ، وفي كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي ، رجال يقومون في هذه الأمة على طريقة الأنبياء ، في ميدان القيم والمعتقدات ، يجددون أمر الدين ، وينفخون روح الجهاد في الأمة . تبعا للقاعدة التي لا تتخلف : **(إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)** . فظهر في بلاد الغرب دولة (المرابطين) ثم (الموحدين قارعتا الصليبيين في الأندلس .

ومن الله تعالى على العالم الإسلامي في القرن السادس الهجري بعماد الدين زنكي ، أتابك الموصل ، الذي التف حوله المخلصون من المسلمين ، وجعلوا دولته دار هجرة ، تداعوا إليها من جميع الأقطار فأخذ منذ توليه سنة 487 هـ يعد الناس إعدادا إسلاميا ، ويطهر الدين من التيارات الفكرية المنحرفة ، كالباطنية .

ولما استشهد سنة 541 هـ خلفه ابنه : الملك العادل نور الدين محمود زنكي (ت سنة 569 هـ) وفي نفس السنة تمكن عبد المؤمن بن علي من الموحدين أن يملك ما في جزيرة الأندلس من بلاد الإسلام يجابه الصليبيين هناك ، وتمكن نور الدين أن يهزم الصليبيين هزائم متوالية وأتم توحيد مصر ، والشام ، وشمال العراق ، والحجاز ، فوضع الصليبيين بين فكي كماشة . فقد دخلت قواته مصر ، بقيادة أسد الدين شيركوه ، سنة 562 هـ)

. في خلافة المستضيء بأمر الله ، الذي ولي الخلافة عام 566 هـ ووصفه المؤرخون أنه (أي نور الدين) كان : " ملكا صالحا ، ظاهر الدين ، بنى المساجد والمدارس والرباطات ، وفتح الأمصار ، وغزا الفرنج عدة غزوات "

ولما توفي نور الدين ، رحمه الله ، سنة 569 هـ ، أتم مهمته الناصر صلاح الدين ، يوسف بن أيوب ، الذي هيأه الله سبحانه وتعالى لاستخلاص بيت المقدس ، فقد جمع فيه من خصال الحزم ، والعز ، والإخلاص ، والحرص على الجهاد ونصر الإسلام ، ومكارم الأخلاق ، ما لا يجتمع إلا في أفذاذ الرجال ، فكان معجزة من معجزات الإسلام التي تتكرر ودليلا على أن الإسلام لم ينته دوره ، ولم يفقد الحيوية والانتاج ، فقد استجمع طاقة الأمة ، وهزم الصليبيين في معركة حطين بفلسطين ، عام 583 هـ / 1187 موكسر شوكتهم ، واستعاد بيت المقدس ، وأحضر له المنبر ، الذي أعده نور الدين بن محمود للمسجد الأقصى ، فعاد الإسلام إلى تلك الديار غضا طريا .

استطاعت الحروب الصليبية التي استمرت قرنين في المشرق ، استنزاف جميع القوى البشرية ، ، في منطقة الشام ومصر ، واتسم الفكر الإسلامي في هذه الفترة بطابع المقاومة ، والتحدي ، ورد الفعل ، بالدعوة إلى الجهاد وإبراز القدوة الحسنة ، ذلك كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكما فعل قبله سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، ومن نتائجها أيضا ، أن ألقيت مقاليد الأمور بيد العسكريين ، لبروز روح التحدي ، والجهاد هذه ، فجمدت أوضاع المسلمين الاقتصادية وتناقصت الثروة ، وضعفت الأيدي العاملة ، بالإضافة إلى الخراب ، والدمار ، الذي حل بالمسلمين في جميع أقطارهم وخاصة الشام ، ومصر ، وآسيا الصغرى وتونس والأندلس .

وقد عزلت الحملات الصليبية الأندلس ، عن قاعدته في المغرب الإسلامي ، وأخذت في تفتيت المسلمين ماديا ، ومعنويا ، بصورة بطيئة ، مع تجريدهم بصورة مستمرة من مصادر قوتهم . وبالرغم من ذلك بقيت الأندلس تقاوم ، واحتملت فوق قدرة احتمال البشر ، على امتداد قرون عديدة ، إلى أن سقطت غرناطة ، آخر معاقل المسلمين ، سنة 897 هـ / 1492 م بيد فرديناند وإيزابيلا .

فاغتصبت أرض الأندلس الإسلامية ، واستوطنها الصليبيون الأوربيون ، وقد عانى المسلمون فيها معاناة عجيبة ، فلم يقبل منهم الصليبيون أحدا ، حتى الذين تنصروا من المسلمين الذين أطلقوا عليهم اسم (المورسك) .

وخوفا من أن يبقى منهم من يحتفظ بالإسلام ، سلطت النصرانية الصليبية على مدن أوربا محاكم التحقيق ، التي أحرقت الألوف من الناس علنا . وقضت على حضارة المسلمين في الأندلس ، وظهر من المتعصبين الكثيرون مثل (خمينز) الذي فرض النصرانية على أهل غرناطة بالعنف ولما طلب المتنصرون أن تكتب لهم تعاليم النصرانية بالعربية ، لغتهم ، رد عليهم : " إننا لا نرمي حبات الدر النفيس للخنازير " . وهذا هو نفسه الذي أحرق المخطوطات العربية الرائعة التي بلغت على أقل تقدير ، ثمانين ألف مخطوطة ، في غرناطة وحدها . وكانت قد ضاعت أيضا صقلية وجنوب إيطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط واستوطنها الصليبيون الأوروبيون ، كما حدث في العالم الجديد إثر الاكتشافات الجغرافية

استفاد الغرب الصليبي من الحروب الصليبية كثيرا.

- سياسيا : ازدادت سلطة الملوك ، باشتراك عدد كبير من أمراء الإقطاع مع فرسانهم في الحروب الصليبية ، فخلا الجو للملوك فزادت سلطاتهم على رعاياهم ، فظهرت الممالك الأوربية الحديثة . مثل بريطانيا ، وفرنسا ، وبروسيا ، وروسيا .

- **اجتماعيا :**اقتبس الأوربيون كثيرا من مظاهر الآداب الاجتماعية والأخلاق ، واللباس ، من المسلمين ، وعادوا لتطبيقها على أوربا كما اهتزت طبقة الإقطاعيين وأخذت تظهر طبقات أخرى ، مثل الطبقة الوسطى من التجار خاصة ، والتي دعيت بالطبقة البرجوازية .

اقتصاديا : فقد تسلم الأوروبيون زمام التجارة بأنفسهم ، وتعلموا بعض الصناعات ، وخاصة صناعة الحرير ، والزجاج ، والورق ونقلوا بعض أشجار الفاكهة إلى أوربا ، وتعلموا أساليب الزراعة .

علميا وثقافيا : فقد نشأت حركة واسعة في ترجمة العلوم والمعارف الإسلامية ، إلى اللاتينية ، بعد أن أطلع الأوروبيون على معلومات جغرافية ، وفلكية ، وتاريخية وزراعية ، مكنتهم من حب الاستطلاع . وباختصار فقد أحدثت الحروب الصليبية تغيرا في أوربا في مختلف نواحي الحياة ، ومجالاتها ، ونقلتها من عصر الإقطاع المظلم ، إلى عهد جديد أطلق عليه اسم : **عصر النهضة** – وحركة النهضة هذه حركة تغيير شاملة لجميع نواحي الحياة ، السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية في أوربا وامتدت من القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر . وابتدأ في ايطاليا لصلتها الكبيرة بالعالم الإسلامي من بقية أوروبا عدا أسبانيا ، والبرتغال

يمكن تلخيص أسباب اليقظة الأوروبية في :

1- الروح الدافعة التي بثها الإسلام ، وحضارته ، في أرجاء العالم ، فأخذت تسري في أوصاله ، مجددة حياته وقواه ، وقد تلقفتها أوربا عن المسلمين إبان الحروب الصليبية في الشرق وعن طريق الأندلس ، وصقلية ، وجنوب ايطاليا والجامعات الإسلامية .

2- التمرد على الكنيسة الجاهلة ، ونبذ سلطانها السياسي ، والديني بكل ما يمثله من خطايا ، وأخطار ، وحجر على التفكير ، وكبت للعلم واضطهاد للعلماء ، باسم دين الكنيسة ، وعصمتها .

3- حركة الاستعمار الأوروبي :

درج المؤرخون الأوروبيون على تقسيم العصور التاريخية إلى :

1- **العصور القديمة :** وتبدأ من ظهور الإنسان إلى عام 476 م وهو العام الذي سقطت فيه الإمبراطورية الرومانية الغربية بسقوط عاصمتها روما بيد (ادواكر) زعيم القوط من البرابرة .

2- **العصور الوسطى :** وتبدأ في رأيهم من عام 476 م وتمتد إلى عام 1453 م وهو العام الذي سقطت فيه الإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) على يد السلطان العثماني محمد الفاتح .

3- **العصور الحديثة :** وتشمل الفترة الممتدة من عام 1453 م إلى الآن.

ويجب ملاحظة أن حوادث التاريخ متصلة الحلقات ومتداخلة ومن المستحيل فصل عصر عن عصر .

ملامح تاريخ أوربا في العصور الوسطى :

1-**سيادة نظام الإقطاع في أوربا :** لقد أدى اندفاع البرابرة من القبائل الجرمانية (القوط الشرقيين والغربيين والفرنجة والانجليز والسكسون والبيرغنديين) وانهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية إلى انعدام الأمن وانتشار الخوف والرعب والدمار والخراب ، فلجأ الضعفاء إلى الأقوياء يلتمسون الحماية ، وتنازلوا عن أرضهم وعن حرياتهم مقابل الحماية.

فنشأ ما يسمى بنظام الإقطاع بقلاعه الحصينة وفرسانه . وهو نظام اقتصادي اجتماعي حربي ، يقوم أساسا على حيازة الأرض . وقد أصبح المجتمع الأوربي في ظل هذا النظام مجتمعا طبقيا على رأسه الأشراف أو النبلاء وهم السادة من مالكي الأرض .

2-**سيادة نظام الكنيسة في أوربا :** دخل في روع النصارى أن بطرس تلميذ المسيح أسس كنيسة روما تجسيدا لمسيح دائم وأن بطرس هو رأس هذه الكنيسة ، فالكنيسة عالمية ورئيسها (أسقفها) خليفة بطرس رأس جميع الأساقفة كما أن كنيسة روما هي رأس الكنائس وأمها ، واعتقدوا أن السلطات الموعود بها القديس بطرس لا تقتصر على السلطة التعليمية بل يجب أن تمتد إلى مجال الولاية كله ، والله (كما أوحى لهم القسس) يقر في السماء ما يقره بطرس أو يرفعه على الأرض من الواجبات ، وللبابا خليفته مثل ذلك الولاية الكاملة على الكنيسة كلها ، في أمور الإيمان والآداب وتنظيم الكنيسة وإدارتها .

3-**النزاع بين البابوية والإمبراطورية :** فرض قسطنطين النصرانية على الامبراطورية الرومانية في مؤتمر نيقية سنة 325 م ، وفرض في هذا المؤتمر مع (318) أسقفا جماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين وأعلن أن تعاليم الدين لا بد أن يتلقاها الناس من أفواه رجال الكهنوت ، فكان الفصل بين السلطة الدينية

التي يمثلها الكهنوت وعلى رأسهم البابا ، والسلطة الزمنية التي يمثلها الإمبراطور ، أو إن شئت فقل الفصل بين الدين والدولة ، الدين من أفواه الكهنوت ، والدولة تطبق القوانين الرومانية الوثنية .

وسائل الاتصال بين العالمين النصراني والاسلامي :

1- **المراكز الإسلامية من دار الإسلام في أوربا** :فقد كان المسلمون يسيطرون على معظم سواحل البحر الأبيض المتوسط ، أي جنوب أوربا ، فكانت بأيديهم شبه جزيرة " إيبريا " (إسبانيا والبرتغال) وصقلية وجنوب إيطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط ، وكانت هذه المراكز مراكز اشعاع للحضارة الإسلامية تنشر ضوءها على جميع الأمم النصرانية في أوربا المظلمة . هذا وقد بدأت الحروب الصليبية في هذه الأماكن والمراكز واستطاع الأوروبيون دحر المسلمين وطردهم منها بعد أن استفادوا منهم .

2- **ارتياد الطلبة الأوروبيين للجامعات الإسلامية :** كانت بلاد المسلمين تشهد نهضة علمية رائعة ، وانتشرت المدارس والجامعات جنبا إلى جنب مع المسجد ، فقد كان المسجد المدرسة الأولى للإسلام .

-كان المسجد المدرسة الأولى للإسلام فكانت الحلقات والمناظرات في الكلام والأدب والشعر والفقه والحديث تقام فيه .

وكانت المكتبات والكتب توضع في متناول كل محب للاستزادة من العلم ، دون قيد ولا شرط ، ومن مراكز الثقافة

الإسلامية : بخارى وسمرقند وطشقند وبلخ ونيسابور والري.

وشيراز ، وأصفهان ، والقيروان ، وجامع الزيتونة في تونس ، وفاس ، ومراكش ، وقرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة ، وباليرمو ، وباري .

وأهم المراكز الثقافية التي كان يؤمها ويرتادها الأوروبيون للعلم :

قرطبة في الأندلس ، وباليرمو في صقلية ، وباري في جنوب إيطاليا .

ففي سنة 360 هـ أم جماعة من رهبان دير ماري غالن جامعات الأندلس لدرس العربية وتحصيل معارفها ، كما أقبل

الرهبان البندكتيون يطلبون العلوم الإسلامية .

وكانت جامعة قرطبة من أعظم جامعات الدنيا تقرأ فيها العلوم الطبيعية والفلكية والكيماوية .

3- **الصلات التجارية بين الشرق والغرب :**

لقد نمت التجارة وازدهرت في بلاد الإسلام في العصور الوسطى ، وكان للمسلمين صلات تجارية مع معظم بلدان العالم ، وامتدت تجارتهم إلى الشرق حتى وصلت الفلبين والصين ، وإلى الغرب حتى وصلت بلاد الفرنجة ، وإلى الجنوب حتى وصلت نيجيريا والحبشة وموزمبيق ، وإلى الشمال حتى وصلت إلى بلاد الروس وسيبيريا وفنلندا ، وأصبحت المدن الإسلامية مراكز حافلة بمظاهر التبادل التجاري البري والبحري ومنها : بغداد ، والبصرة في العراق والفسطاط ، والإسكندرية في مصر ، وسيراف ، وأصفهان في فارس وطرابلس وصيدا وبيروت في الشام ، والمنصورة في الهند .

أسلوب الاستعمار الذي مر بمرحلتين :

كانت حركة الكشوف الجغرافية التي تم شطر كبير منها في القرن الخامس عشر الميلادي أهم نتيجة عملية للنهضة الأوروبية ، وكان هدف الأوروبيين من هذه الحركة تحقيق أمرين :

أ- تطويق العالم الإسلامي لإضعافه تمهيدا لضربه في الداخل .

ب- البحث عن طريق تجاري لا يمر بديار المسلمين مع الهند .

وقد ساعد الأوروبيين في مهتمهم هذه ، الإسطرلاب ، والبوصلة والخرائط البحرية ، ومعرفة كروية الأرض ، فقد سعى البرتغاليون للحصول على علوم المسلمين الملاحية ، واستعانوا بالتجار اليهود في الأندلس .

إيفاد البعوث الكشفية الجغرافية ، ابتغاء الوصول إلى الهند بحرا فتمكن (بارثلميودياز) من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح (جنوب إفريقيا) ، وأتم (فاسكودي غاما) ، بمساعدة العالم المسلم (أحمد ابن ماجد) الرحلة ، فوصل البرتغاليون إلى كاليكوت (فاليقوط) في الهند ، وأخذوا يقيمون المراكز ، والحصون ، والقلاع ، على السواحل الإفريقية والآسيوية ، لبسط سيطرتهم العسكرية والتجارية ، على هذه المنطقة ، وهزموا أسطولا إسلاميا ، ضم سفنا من المسلمين في الهند ، ومن دولة المماليك في مصر والشام ، ومن الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والبلقان 915 هـ / 1509 م ، في معركة (ديو) شمالي بومبي بالهند . فتأكدت سيادة الصليبيين على البحار وانحسرت قوى المسلمين في المحيط الهندي . وكانت رحلة فاسكودي جاما صليبية واضحة .

فماذا كانت نتيجة هذه الكشوف الجغرافية على بلاد الإسلام ؟

لقد تغيرت طريق التجارة عن بلاد الإسلام ، والبحر الأبيض المتوسط ، إلى المحيطات الكبرى – الأطلسي ، والهندي والهادي – فأدى ذلك إلى ضعف تجارة المسلمين ، ثم ضعف الصناعة ، والزراعة ، فقد هجر الناس المدن إلى الأرياف وعاد الكثير منهم إلى البادية ، فكسدت البضاعة ، وخوت الأسواق ، وقل عدد سكان المدن ، فأصبحت قرى ، الأمر الذي أدى مع الزمن إلى عزلة المسلمين ، وإلى شيوع الجهل والتأخر والأمية .وأما من الناحية العسكرية ، فقد طمع الصليبيون بعد أن أحاطوا بالعالم الإسلامي ، بوصول " مجلان " إلى الفلبين شرقا ، ملتقيا النفوذ الاسباني بالبرتغال.

حركة الإصلاح الديني – أو حركة الانشقاق الديني) :

إذ زادت مساوىء الكنيسة مع بداية حركة النهضة الأوروبية ، واشتد عسف رجال الدين ، وتحكمهم في عقول الأوروبيين . وكان البابا قد احتاج لنفقات كثيرة في تزيين (فرسكة) كنيسة القديس بطرس (الفاتيكان) ، فابتكر وسيلة لجمع المال وهي : (**بيع صكوك الغفران**) التي حولت أمر الدين النصراني إلى مهزلة حقيقة .

فظهر **مارتن لوثر** في ألمانيا (1483 – 1546 م) وانتقد صكوك الغفران . وحرمه البابا ، فأسبغ عليه أمير سكسونيا حمايته ، وأقام في قلعته ، وترجم الإنجيل إلى الألمانية ، ونشره ، وأظهر مفاسد الكنيسة . فسمى أتباعه : **البروتستنت**(المحتجون) .ومما يدل على تأثر لوثر بالفكر الإسلامي فكرته التي نشرها : (لا خلاص إلا بالإيمان) وقوله : " ليس للبابا وحده حق احتكار تفسير الإنجيل "

4-الحركة الصهيونية

من جراء الثورة الصناعية في أوربا ، انتقلت المصانع من البيوت ، إلى المؤسسات الكبيرة ، التي تحتاج إلى أموال هائلة ، فاستغل ذلك اليهود الذين كانوا يملكون المال ، فبرزت البيوتات المالية اليهودية الكبيرة ، وفي مقدمتها بيت أسرة (روتشيلد) ، وأصبح زعماء اليهود يؤثرون تأثيرا كبيرا في العلاقات الدولية ، لأنها هي التي تحرك الصناعة ، وتستغل الحكومات ، في البحث عن مستعمرات فنشأت الفكرة الصهيونية في أحضان الاستعمار ، وولدت في فراشه . وأصبحت تمثل بعدا جديدا للاستعمار ، والغزو الغربي ، المتطلع للسيطرة والنفوذ في العالم الإسلامي . وقد حاولت الصهيونية منذ قيامها كحركة منظمة ، أن تضمن التحالف ، والارتباط بالدول الاستعمارية في العالم (فرنسا ، وألمانيا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة)

- أفرزت الصهيونية فكرا خطيرا في عالم الإسلام وفي العالم أجمع هو **الفكر الماسوني** .

والماسونية جمعية يهودية ، تهدف إلى تدمير القيم ، والأديان ، وهي تتشكل في إدارات اجتماعية ، هدفها الأساسي تنفيذ ما جاء في التوراة المحرفة ، من إحياء الأوهام التي تسيطر على الزعامات اليهودية ، من إقامة مملكة إسرائيل الكبرى وفي الوقت نفسه ، تحقيق ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون ، التي حملت المخططات الصهيونية اليهودية العالمية .والترجمة الحرفية للاسم تعني : (جمعية البنائين الأحرار) أي الذين لا تربطهم رابطة أو تلزمهم نقابة . وهي تزعم أنها مؤسسة اجتماعية ، فلسفية ، تحب الخير للإنسانية

5-الحركة الشيوعية :

ومن المصائب التي حلت بالعالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري ظهور الشيوعية ، كاتجاه عقائدي يناقض الإسلام بالكلية وككيان رسمي هدفه إبادة الوجود الإسلامي واستئصاله ليس من الاتحاد السوفيتي فحسب وإنما من المعالم أجمع .

والشيوعية فلسفة مادية جدلية للتاريخ ونظام الحياة تقوم أساسا على المادة ، ومعاداة الأديان ، تنتسب إلى " كارل ماركس " الفيلسوف الألماني وحفيد الحاخام اليهودي " مردخاي ماركس " . ركز مع الفيلسوف الانجليزي " إنجلز " على فكرة الصراع الطبقي في إحداث التغيرات الاجتماعية ، والتي أخذها عن فكرة (الديالكتيك) الجدلية من الفيلسوف الألماني " هيجل " بعد أن قلبها وجعل المادة أصلا لا الفكر . بل اعتبر الفكر نفسه مادة . كما أخذ كثيرا من أفكار " موشي هس " صاحب كتاب الدولة اليهودية الذي تأثر به " هيرتسل " صاحب فكرة الصهيونية الحديثة ومنظرها .

المحاضرة الخامسة

واقع العالم الإسلامي من الناحية الفكرية ، الحركات الهدامة

الفكر ركيزة هامة في حياة الأمم ودليل على حيويتها وتقدمها أو على جمودها وتخلفها في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وتعتبر وحدة الفكر من أبرز ظواهر التاريخ الإسلامي ، فقد انتظم مختلف وحداته ودوراته وموجاته فكر واحد وثقافة واحدة ، بقيت الربط المشترك الأعظم بينها مهما اختلفت أقطارها ودولها وأنظمتها . هذا الفكر هو روح الجماعة الإسلامية والمحرك الأساسي والقالب الذي تشكلت فيه مختلف القيم والمفاهيم والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ولعل أبرز ما يتمثل في الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية هو:

الأصالة : فقد قام الفكر الإسلامي على التوحيد والنبوة والمساواة والعدل . وهي أسس جديدة خاصة بالحضارة الإسلامية لا صلة لها بالحضارات المادية السابقة للإسلام – السريانية والفارسية والرومانية واليونانية والهندية .

ولقد أدرك الأوروبيون وفي وقت مبكر ما للفكر من أهمية في صراعهم الحضاري مع المسلمين ولمسوه يقينا بما ترتب على نتائج الحروب الصليبية – لمسوا يومها أن انتصارهم العسكري لم يجدهم شيئا أو يبق لهم وجودا في الأمة الإسلامية بعد أن دحرهم صلاح الدين ومن بعده ، ولذلك اتجهوا إلى أفكار الإسلام فانكبوا على الفكر الإسلامي فترجموه وقاموا بدراسته وتلخيصه فكانت أولى أعمالهم ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية وبعدها فتح باب الدراسات الإسلامية والعربية عندهم على مصراعيه

فكانت حركة الاستشراق التي مهدت لهم طريق الاستعمار فيما بعد . هكذا عمل الأوروبيون على اكتشاف الفكر الإسلامي وترجمته من أجل إثراء ثقافتهم فقادهم ذلك إلى حركة النهضة الأوروبية وساروا فيها أشواطا . ثم عملت أوربا على كشف الفكر الإسلامي مرة أخري لهدف سياسي لتضع خططها الرامية للسيطرة على بلاد الإسلام مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسة في البلاد الإسلامية لتسيطر على الشعوب الخاصة فيها لسلطانها . ومن هنا بدأ يظهر الأثر السلبي للإنتاج الاستشراقي الفكري الذي كتب عن المسلمين وأحيانا بالعربية ليمارس دور التخدير أو الالهاء ليبقى العالم الإسلامي خلوا من أي توجيه أصيل.

هذا الأسلوب هو ما نسميه : **بالغزو الفكري** : وهو الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة وما ينبثق منها من أفكار وتقاليد وأنماط حياة وهو من شعب الجهد البشري المبذول ضد عدو ما لكسب معارك الحياة منه ولتذليل قياده وتحويل مساره وضمان استمرار هذا التحويل حتى يصبح ذاتيا إذا أمكن ، وهذا هو أقصى مراحل الغزو الفكري بالنسبة للقلوب وإن كان في الوقت نفسه هو أقصى درجات نجاح الغزاة .وسلاح هذا الغزو : الفكرة ، والرأي والحيلة والنظريات والشبهات وخلابة المنطق وبراعة العرض .

ويتميز الغزو الفكري بالشمول والامتداد فهو حرب دائبة لا يحصرها ميدان ، بل تمتد إلى شعب الحياة الإنسانية جميعا ، وتسبق حروب السلاح وتواكبها ، حتى تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه ، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته ، حتى يلين ويستكين ، وتنقض تماسكه النفسي حتى يذوب كيانه ، فيقبل التلاشي والفناء في بوتقة أعدائه ، أو يصبح امتدادا ذليلا لهم .

وقد دمغ الله سبحانه وتعالى قادة هذا اللون من الحرب بأسماء وصفات غاية في النكارة ، مثل : الشياطين ، السفهاء ، المعوقين ، المرجفين أكابر المجرمين ، وأئمة الكفر ، والذين في قلوبهم مرض .

كذلك سمى هذا اللون ذاته بصفات أساليبه الخسيسة ونتائجه الخبيثة مثل : زخرف القول ، الغرور ، الخبال ، الفتن .

وعمل المستعمر على نقل المعركة بين أبناء البلد المغلوب على أمره ، بأن استخدم من تربى في معاهده ، ومن قلده فأثارهم ضد دعاة الفكر الإسلامي في بلادهم ، فتحول الأمر إلى صراع داخلي ، أثار الفوضى ، وسرب في غمرته الأفكار الهدامة ، وزرع اليأس في نفوس دعاة الفكر الأصيل من إمكانية التغيير . بذلك حاول الغرب والمتغربون تعطيل النشاط الفكري ، فبقي النشاط السياسي بالتالي أعمى والأفكار دون جدوى .

وحتى يتم تعطيل دور المفكر فقد عمل الاستعمار على :

أ- تنفير الرأي العام من أفكاره بجميع الوسائل المتاحة للاستعمار .

ب- تنفيره هو نفسه من القضية التي يكافح من أجلها بإشعاره بعبث كفاحه .

فيخلق المستعمر بهذه الطريقة نمطين من المواجهة لأي مفكر يريد أن يدخل حلبة الصراع لمواجهته ، حين يستغل إمكاناته الضخمة الإعلامية والثقافية وعملاءه في السر والعلن لكي يحارب شخصا وعى مشكلات بلاده ، وأراد أن يوجهها بأسلوب سليم ، بدايته وضع الأسس الفكرية ، واستقطاب الناس حولها ، وكثيرا ما تحاول حكومات بلاده التعتيم على ما ينشره أو يقوم به ، وتزداد معاناته حين يواكبه قومه باللامبالاة ، ويواجه بالأفكار المصدرة الملونة بالأحمر أو الأزرق ، ولكنها في مضمونها تحمل القناعات الاستعمارية القديمة برداء الحرية والإخاء والمساواة ، أو الماركسية والاشتراكية .

وبهذا عمل الاستعمار على تحطيم المعنويات الإسلامية وبقية الروح الإسلامية التي يستند إليها وجود الأمة التاريخي بملامحها الخالدة المميزة له .

وقد شهد العالم الإسلامي تغيرات فكرية في عهد الجمود ، وقبل انهيار الخلافة العثمانية ، فنشطت دعوة المفكرين للعودة إلى الإسلام والتكتل الإسلامي ، أي فكرةالجامعة الإسلامية ، وإصلاح أوضاع المسلمين وعقيدتهم كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ،والدعوة السنوسية في ليبيا ،والمهدية في السودان . والدهلوية في الهند .

وبعد انهيار الخلافة العثمانية عام 1343 هـ / 1924 م ، واجه الغرب الصليبي والشيوعية ، والصهيونية الأمة الإسلامية بالتحدي الكبير فنشط الاستشراق و التبشير.

والمنحرفون من الأمة نفسها ، وأصبحوا في حل من القيود ، يعبثون كما شاء لهم العبث ، وأخذت أفكارهم بما أوتيت من دعاية منظمة ، تجد هوى وتأييدا لدى العامة لتصبح رأيا عاما باسم التقدمية ، والنهضة ، والإصلاح ، ومقاومة الاستعمار ، وقامت مدرسة فكرية جديدة بين المسلمين ترمي إلى تقريب الشقة بين تعاليم الإسلام .

وأطلت رؤوس الأفكار المنحرفة بدون حاجز وبحرية كاملة ، بما يملكونه من وسائل نشر ودعاية وإعلان ووظائف عليا وحراسة فدخل الفكر القومي والوطني والعلماني والمادي والاشتراكي والعالمي الوجودي إلى صفوف المسلمين باسم العلم وحرية البحث ، والنهضة والإصلاح ، والثورة على كل قديم على حساب الرابطة الإسلامية فمبدأ القومية يستهدف العنصرية ، وهي تستهدف إيجاد الصدع بين العرب والفرس والترك والهنود وهم جميعا مسلمون ، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ الإقليمي ، وفكرة العالمية تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة ، وهي كثيرة ، كانت تلبس ثوب الرحمة والإنسانية وحب السلام والوئام منها : الماسونية والشيوعية والروحية والدعوة إلى التوفيق بين الأديان ، وبين الإسلام والنصرانية منها خاصة .والدعوة إلى القومية والعالمية – سارت لمعارضة الإسلام

وأطلت رؤوس الأفكار المنحرفة بدون حاجز وبحرية كاملة ، بما يملكونه من وسائل نشر ودعاية وإعلان ووظائف عليا وحراسة فدخل الفكر القومي والوطني والعلماني والمادي والاشتراكي والعالمي الوجودي إلى صفوف المسلمين باسم العلم وحرية البحث ، والنهضة والإصلاح ، والثورة على كل قديم على حساب الرابطة الإسلامية فمبدأ القومية يستهدف

العنصرية ، وهي تستهدف إيجاد الصدع بين العرب والفرس والترك والهنود وهم جميعا مسلمون ، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ الإقليمي ، وفكرة العالمية تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة ، وهي كثيرة ، كانت تلبس ثوب الرحمة والإنسانية وحب السلام والوئام منها : الماسونية والشيوعية والروحية والدعوة إلى التوفيق بين الأديان ، وبين الإسلام والنصرانية منها خاصة .والدعوة إلى القومية والعالمية – سارت لمعارضة الإسلام

الدعوات الفكرية الهدامة

1- الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب

وأخذ حضارته دون وعي ولا تمييز ، وقد ترجم هذا الاتجاه كثير من الذين تقدموا إلى الصفوف الأولى في قيادة الأمة ، بعد زوال الخلافة العثمانية ، مثل : طه حسين ، وسلامة موسى ، وقاسم أمين ، وأحمد لطفي السيد وصهره إسماعيل مظهر في مصر .

فسلامة موسى في كتابه (اليوم والغد) 1345 هـ (1926 م) يرى أن مصر جزء من أوربا ، وليست جزءا من آسيا (أي من الإسلام)

وطه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر (ظهر سنة 1357هـ / 1938 م) فيقول : " إن سبيل النهضة واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهي : أن نسيرة سيرة الأوروبيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد وما يعاب.

وقاسم أمين يقول في كتابه المرأة الجديدة ، بعد أن تحدث عن أوضاع المرأة المسلمة في مصر : " هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه ، وليس له دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها .

2- احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية علمانية :

والاتجاهات الفكرية التي حملت وزر هذا ، تلك التي دعت إلى الارتباط بالماضي التاريخي الغامض ، البعيد ، السابق على ماضيهم الإسلامي الحي ، ودعوة إحياء الحضارات القديمة ظهرت في وقت واحد في كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمال أفريقية وفارس والهند وأندونيسيا .يقول أحد المستشرقين : " إننا في كل بلد إسلامي دخلنا ، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام ، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام ، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وتلك الحضارات .

ومن **الدعوات : الفرعونية في مصر** : التي أطلت برأسها عند غزو نابليون لمصر عام 1897 م فقد استصحب معه بعثة علمية للتنقيب عن آثار الفراعنة ، وأنشأ معهد الآثار الفرعونية في حي المنيرة بالقاهرة وما يزال قائما مكانه إلى اليوم . فنشط دعاتها لغزو الأقطار بها وملأوا أبصار قارئي الصحف ، وأسماع شاهدي الندوات بالدعاية لها ، ورسموا رأس أبي الهول على طوابع البريد وعلى أوراق النقد واتخذه النحات محمود مختار شعارا لتمثال نهضة مصر الذي وضع نموذجه في باريس عام 1920 م .

وأثيرت **الفينيقية** في لبنان ، **والأشورية والسومرية والبابلية** في العراق ، **والكنعانية** في فلسطين ، **والبربرية** في المغرب ، والحيثيةفي آسيا الصغرى ، و**ماجاباهيت**الهندوكية في أندونيسيا **والفارسية** في إيران لعزل هذه الأجزاء عن بعضها والتفريق بينها تفريقا يحول دون التقائها في وحدة واحدة قوية . العبرية اليهودية في فلسطين .

عرضت **المناهج** – مناهج الدين والتاريخ الإسلامي بالذات عرضا منفرا مغرضا يجعلها على هامش المنهج الدراسي ، مما يغرس في نفوس الأطفال والتلاميذ والناشئة عامة عدم الاهتمام بهما . ويطبعهم على الاعتقاد بعدم جدواهما دراسيا . ويرسب في نفوسهم بالتالي الاستخفاف بالدين من حيث هو سلوك وعبادات ، وبالتاريخ الإسلامي من حيث هو سجل لأمجاد الأمة الإسلامية .

3- **العمل على تطوير المعاهد الدينية** وخاصة الأزهر في مصر :

الأزهر كما نعرف أعرق المعاهد الإسلامية ، بل هو أعرق جامعة في العالم كله ، وقد استطاع بفضل الأوقاف العديدة التي وقفها عليه أغنياء المسلمين خلال عصره الطويل ، وبفضل ما كان يتمتع به علماءه من هيبة ومكانة ، أن يحمي العلوم الإسلامية والعربية بعيدة عن أن تمتد إليها يد الملوك والحكام بالتغيير والتبديل .

من أجل ذلك كله تعرض الأزهر لمقت أعداء الإسلام ، وصب اللعنات من قبل دعاة التغريب واللادينية ، حتى جعلوه رأس المشاكل الثقافية في مصر ، والعقبة ونفوذ المعاهد الإسلامية الأخرى كالقرويين في فاس ، والزيتونة في تونس – وتهوين مركزه ، حيث وقفوا في طريق علمائه ، وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة ، ومناصب الحكم ، ووظائف الإدارة ، وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين ، على أن يكون الإسلام على حد تعبيرهم بعيدا عن السياسة ، وبمعزل عن الحكم ، فأعفوا علماء الدين من التجنيد وأسقطوا الجهاد عمن حفظ كتاب الجهاد – القرآن الكريم – فأبعد القرآن وتعاليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين الحكومة .وصدرت قوانين تطويع الأزهر باسم تطويره منها إلغاء القضاء الشرعي جملة وإدماج محاكمه في دوائر تابعة للمحاكم الأهلية ألغيت المحاكم الشرعية .

ورغم ذلك فقد بقيت هذه المعاهد بشيوخها وشبابها ، تحمل الفكر الإسلامي الأصيل وتواصل رسالته ، وأنشئت جامعات أخرى إسلامية تحمل الرسالة كالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض . . **وكلها تهدف إلى :**

أ- تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام ورجاله .

ب- إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الإسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية وهي مجموعة مرتبطة بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات .

ج- عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضا صحيحا في ثوب نقي خال من الغواشي المشوهة لجماله ، وخال مما أدخل وزيد فيه من الفروض المتكلفة التي يأباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .

د- العمل على إزالة الفروق المذهبية ، أو تضييق شقة الخلاف بينها ، فإن الأمة في محنة من هذا التفريق ومن العصبية لهذا الفرق ودراسة أسباب الخلاف دراسة بعيدة عن التعصب تهدي إلى الحق .

هـ- تخريج الدعاة الواعين على عقيدتهم ، الواعين على أوضاع أمتهم ووسائل نهضتها ، وتحقيق الخير لها .

4-مهاجمة اللغة العربية والدعوة إلى العامية :

اللغة العربية اختصها الله لغة للقرآن الكريم ، وخصها مرة أخرى لتكون لغة أهل الجنة ، وخصها أيضا لغة لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم . ولذلك فقد رافقت رحلة الإسلام وانتشاره .

وكان المسلمون يتطلعون إلى أن تأخذ الدولة العثمانية العربية لغة للدولة . غير أن التحول الذي أصاب تركيا بعد الحرب ، وتغريبها وانسلاخها من العالم الإسلامي دفعها للتخلص من الأثر العربي – فعملت على تصفية اللغة التركية من الكلمات العربية ، حيث عقد عدد من المؤتمرات التي قامت بإخراج 13650 كلمة عربية .

حلت محلها كلمات تركية وأوربية . ففقدت تركيا تراثا ضخما يتمثل في مئات المجلدات ، في الأدب والنقد والثقافة ، التي كتبت باللغة التركية العثمانية – فضلا عن أن استعمال الأتراك للحروف اللاتينية أفقدهم تصوير الأحرف المشابهة كالفاء والحاء والصاد والضاد والظاء والعين . فإن هذه الحروف لا يمكن أن تجد في اللاتينية ما يصورها بحرف واحد يقوم مقامها .ومنذ أن اتسع النفوذ الأجنبي في العالم الإسلامي واجهت اللغة العربية مقاومة بعيدة الأثر من اللغات الثلاث : الفرنسية والإنجليزية والهولندية .

<u>قطع الاستعمار الغربي الطريق على توسع اللغة بين مسلمي العالم بالعمل على :</u>

1- - نقل كثير من اللغات إلى الحروف اللاتينية وترك الخط العربي وفي مقدمتها اللغة التركية والاندونيسية .

2- شجع لغة محلية أو أكثر في كل بلد إسلامي غير عربي لتصبح لغات قومية . وهذا طبعا يتم على حساب اللغة العربية كالأوردية والسنسكريتية والبنغالية في الهند . واللغات المحلية في أفريقيا .

3- توسيع نطاق لغته وجعلها اللغة الرسمية كما فعل في الهند الإسلامية وبنغلاديش وباكستان وفي غرب أفريقيا ووسطها وشرقها

أما في البلاد العربية فقد عمد الاستعمار إلى **الدعوة لاستخدام العامية** والتحريض على جعلها لغة التأليف والكتابة . كما فعل في الجزائر ومصر وبلاد الشام والعراق وتونس والمغرب .

ففي **الجزائر** – واجهت اللغة العربية محاولات خطيرة كادت هذه اللغة تمحى من الأساس محوا تاما ، حتى أتيح لجمعية العلماء الجزائرية وقادتها عبد الحميد ابن باديس – والبشير الإبراهيمي وغيرهما أن تعيد بناء اللغة العربية من خلال ثلاث مائة مدرسة أقيمت في المساجد على نحو بارع استطاع بأن يتحقق تحت مدافع الاستعمار وفوهات بنادقه . وكان لذلك أبعد الأثر في التحول التاريخي الذي شهدته الجزائر . وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي (جاك بيرك) حين قال : " إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا .

أما في **مصر** بلد الأزهر فقد كانت الحملة أشد . وبدأت عام 1881 م / 1299 هـ حين اقترح المقتطف كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامةوفي عام 1926 م / 1345 هـ دعا مهندس الري الانجليزي – السير (وليم ولكوكس) إلى هجر اللغة العربية .

سياسة التعليم التي خططها (دنلوب) في مصر ، واتبعها المستعمرون في أرجاء العالم الإسلامي انحدر **وضع مدرس اللغة العربية** بقدر ما انحدر راتبه ، وأصبح مادة للسخرية يتحدث الناس عن جهله ، وتخلفه ، وضيق أفقه ، وفقره وانحطاط مستواه الاجتماعي والفكري وأصبح مادة للتندر في القصص والروايات والمسرحيات والأفلام ، وانعكس ذلك على الوضع المهين على اللغة التي يدرسها ، فأصبحت موضع الإزدراء ، والتحقير والنفور . . وأصبحت الشكوى مرة من صعوبة اللغة العربية ، وأصبح الإنسان يقارن ذلك بما عليه مدرس اللغة الانجليزية ، والنظرة إلى اللغة الانجليزية ! ! . وتسللت الدعوة إلى **مجمع اللغة العربية** – فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن اللهجة العربية العامة كتبها أحد أعضائه هو عيسى اسكندر المعلوف المعروف بعدائه للعربية الفصحى.

كانت الدعوات الهدامة للغة العربية تستهدف غايتين :

أ- تفريق المسلمين ، والعرب خاصة ، بتفويقهم في الدين وفي اللغة والثقافة ، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم ، وبذلك لا تتم لهم وحدة .

ب- قطع ما بين المسلمين وبين قديمهم ، والحكم على كتابهم – القرآن الكريم – بأن يصبح أثرا ميتا كأساطير الأولين التي أصبحت حشو لفائف البردي ، أو بأن يصبح أسلوبه عتيقا باليا بتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه . والحكم على تراثهم كله بالموت لأ هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم ويضم بعضهم إلى بعض .

وبقي في لبنان من يصر إلى اليوم على اللهجة اللبنانية وعلى رأسهم الشاعر سعيد عقل ، ويسمونها : اللغة اللبنانية . ووصل به التطرف إلى كتابة هذه اللغة بحروف لاتينية وله جريدة أسبوعية محدودة ..

وعلى الإجمال فاللغة العربية تهان وتنقص من عدة جهات حاليا :

1- الروايات التمثيلية التي تحكي عبارات السوقة والعقليات الجاهلية . فتحيي ألفاظا كان يجب أن تموت مكانها وتؤذي المسامع باللهجات العامية المذكورة .

2- الزعماء الذين لا يحسنون الفصحى ويحلو لهم أن يتحدثوا إلى الجمهور ساعات طويلة . تختلط كلماتهم العربية والعامية

3- الأشخاص الذين يقلدون المنتصر والذين ذابت شخصياتهم ذوبانا تاما ، فيرون من الري أن يكون حديثهم بأي لغة إلا العربية .

4- ورجال المجامع الذين يرون العربية تنهار أمام ألفاظ الحضارة المحدثة ومصطلحات العلوم الكثيرة ، ومع ذلك فهم لا يحركون ساكنا مع أن العربية في خطر حقيقي .

وامتد التلاعب باللغة العربية إلى **لوائح الإعلانات** في الشوارع العامة وأسماء المحلات والمعارض التي تكتب بخطوط عريضة ومليئة بالأخطاء اللغوية ، بعد أن أقصيت من ميادين العلوم ، ولحق أدبها من تشويه وغبن في ميادين الآداب والفنون .

وفي يوم 29 / 7 / 1408 هـ الموافق 17 / 3 / 1988 م عقد مؤتمر اللغة العربية العالمي الأول بدعوة من جمعية نشر اللغة العربية في كراتشي تحت شعار :(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) . وشارك فيه ممثلون عن تسع عشرة دولة وعدد من العلماء المهتمين باللغة العربية . واستمر مدة ثلاثة أيام .وتضمنت أعماله خمسة محاور هي :دور اللغة العربية بوضعها أداة ربط بين الدول الإسلامية و التنسيق والتعاون في تعليم اللغة العربية بالدول الإسلامية وإسهام غير العرب في نشر اللغة العربية وسائل وتقنيات مختلفة في تعليم اللغة العربية .و دور القرآن الكريم في نشر اللغة العربية بين المسلمين

5- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب : -وجدت المدارس الأجنبية في بلدان العالم الإسلامي ، وأطلق غلاة المبشرين والقساوسة وأضرابهم في وضع برامج التعليم لمدارسهم حتى أن الموضوعات العلمانية التي تعلم من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين تحمل معها الآراء النصرانية .

-والواقع أن الاستعمار كان حريصا على توجيه التعليم لتخريج طائفة من المتعلمين يخدمون صالح الحكومة والشركات ، ويهدف أساسا إلى القضاء على الثقافة الإسلامية بالطعن فيها وإثارة الشكوك من حولها والشبهات في أعماقها .فسيطر على المدارس الوطنية – التي تضم عامة أبناء الأمة ممن يقدرون على التعليم – عن طريق رجاله وعملائه الذين تولوا وضع المناهج الجديدة والسهر على تنفيذها وخدمة أغراضها القريبة والبعيدة كالخطة التي رسمها كرومر.

الخطة التي رسمها كرومر في مصر ونفذها القس الإنجليزي دنلوب وتلاميذه من بعده ، ولا تزال لها آثار وذيول سيئة تطبع بعض جوانب التعليم المصري ومقلديه في العالم العربي المسلم . فقد استطاع أن ينزع من برامج التعليم الدين وروح الأدب العربي وتاريخ الإسلام وصلة مصر بالعرب والعربية ثم أدخل في برامج المدارس أن مصر فرعونية . وفي كل وحدات العالم الإسلامي نجد الهدف نفسه قد أعد بصورة أخرى ففي الهند الإسلامية يحاول التعليم التركيز على الحضارات الوثنية ، وفي تركيا يجري الاهتمام بالتاريخ الطوراني وأمجاد جنكيز خان . وفي اندونيسيا يركز على تاريخ ما قبل الإسلام وكلها محاولات للقضاء على العوامل الجامعة للعالم الإسلامي .

وحرض النفوذ الاستعماري أن يجعل من جامعاته ومعاهده مصدرا لتخريج القادة والحكام في العالم الإسلامي .

فعين اللورد كرومرأول معتمد بريطاني على مصر (المستر دنلوب) القسيس المبشر مستشارا لوزارة المعارف المصرية . فكان في يده السلطة الفعلية الكاملة ، ففتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية مهملة الدين ، ويعين خريجوها في دواوين الحكومة . وأما خريج الأزهر فكان لا يجد عملا ، وإذا وحده ففي إقامة الشعائر في المسجد ، وفرق في الراتب بين كبير بينهما .

كان التعليم الحديث علمانيا منذ البداية ، وتعدى الأمر المناهج إلى أسلوب التربية وفلسفة السلوك فقد طبق الاختلاط بين الذكور والإناث في معظم جامعات العالم الإسلامي ، وأدخلت التقاليد الغربية المنافية للإسلام في صلب النظام الجامعي .

وأخطر من هذا أن المناهج تقوم بنصب مثل عليا جديدة أمام أجيال المتعلمين المسلمين فتعرض لهم تاريخ أوربا وحياة أبطالها وعلمائها

- استيراد المذاهب اللادينية في الفكر والأدب :

كان من أخطر الأدوات العصرية التي اعتمد أعداء الإسلام عليها **الصحافة** باعتبارها أكثر شيوعا وأبعد تأثيرا سواء كانت محلية أو مستوردة مجلوبة من وراء البحار والحدود ، تحمل للمسلمين قيما جديدة وتحفل بضروب من الأفكار المخربة وأحاديث الجنس الفاضحة والصور العارية والقصص البذيئة والمقالات والبحوث التي تتناول كثيرا من المقدسات بالنقد والتجريح في غير ما حرج .

وليس من قبيل الصدف أن تنشأ الصحافة في بلاد الإسلام على يد **النصارى** ففي مصر قلب العالم الإسلامي نشأت الصحافة على يد الموارنة النصارى ، فدار الأهرام لآل تقلا ، ودار الهلال لآل زيدان ودار المقطم لآل صروف . وازدهرت هذه بحماية الحراب الانجليزية وعاثت فسادا وتشويها لكل القيم في ظل الاحتلال

بالصحافة سارت النهضة الفكرية والأدبية الحديثة مسارا غريبا حتى آل الأمر إلى الواقع الفكري والأدبي المعاصر ، فنقلت الدارونية والفرويدية إلى مجال الأدب ، بطريق الترجمة أولا ثم الدراسة المستفيضة ، كما استورد المسلمون المذاهب الفكرية الحديثة مثل الإلحاد والشك واللاأدرية واللامعقول . . فعملوا بذلك على تفريغ الكلمة العربية والحرف العربي من مدلوله ومعناه باسم الرمزية وباسم العقل الباطن وباسم القاموس الخاص بالمفكر أو الأديب وتعرض الأدب إلى ظاهرة التقسيم والتجزيء.

واستمرت أفكار الغرب المنحرفة تظهر في الأدب العربي من إسماعيل مظهر إلى لطفي السيد ومنصور فهمي وأمينا الخولي وطه حسين إلى صادق جلال العظم تخفى بعضهم تحت أقنعة البحث العلمي أو التمذهب الأدبي وبعضهم هاجم مشاعر المسلمين وعقيدتهم بكل جرأة وصراحة

وكان من نتيجة شيوع هذه الأفكار في الفكر والشعر والصحافة التمهيد لانتشار الأفكار المادية ولا سيما الشيوعية وتغذيتها بروح الشك العام في كل شيء تقريبا حتى أصبح الشباب المتعلم في العالم الإسلامي فريسة الشكوك القاتل والوساوس

الشيطانية فانتظم كثير منهم في صفوف المنظمات اليسارية أو القومية وغيرهما من الأحزاب اللادينية لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية حتى أصبحت الاشتراكية موضة العصر كما يقولون .

فبعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا عام 1917 م / 1336 هـ تحولت للاهتمام بالشرق وأسست الأممية الثالثة عام 1919 م / 1338 هـ وهو التاريخ الذي اتخذ منه اليساري اللبناني يوسف يزبك تقويما جديدا محل التاريخين الميلادي والهجري . وقد انحصرت الأفكار الشيوعية قبل ذلك في نطاق العلمانيين النصارى .

وقد أسهمت وسائل الإعلام – من صحافة وتلفزيون وإذاعة ومسرح التي يدير معظمها أناس علمانيون – إسهاما قويا في تنمية الاتجاه الإباحي في الفكر وتعميمه وبالتالي في هبوط الأدب أسلوبا ومضمونا كما في كتابات إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وشيعتهما نثرا وأعمال نزار قباني وزمرته شعرا .

وظهرت شعارات علمانية تطالب بفصل الأدب عن الدين بل عن الأخلاق ، فنجد شعارات : الفن للفن ، الأدب غير الملتزم ، والأدب للشعب ، والأدب للواقع . . ومن الذين نادوا بفصل الأدب عن القيم الدينية سلامة موسى . ورغم هذه الأعراض الفكرية التي غلبت على واقع المسلمين اليوم ، إلا أن الفكر الإسلامي الأصيل بقي حيا وشق طريقه في أوساط الأمة بأصالته حتى اضطر أصحاب الأباطيل أن يغيروا وأن يبدلوا في أساليبهم بل أن ينحنوا في كثير من الأوقات.

المحاضرة السادسة

واقع العالم الإسلامي من الناحية السياسية اتجاهات المقاومة الإسلامية في القرن 13هـ -19م

- تخلى العرب والمسلمون عامة عن الدور المنوط بهم في قيادة البشرية وتوجيهها وهدايتها ، فتداعت عليهم الأمم والشعوب لكي يظفر كل بما يريد وهم في جمود وضعف ، ليس من بعده ضعف ، ولقد بدأ الانحراف في تصرفات بعض الحكام المسلمين قديما ، غير أن نقض عروة الحكم لم يظهر إلا في العصر الحديث حين بلغ المسلمون قراره الضعف وغاية التدهور ، فقد كان الإسلام طيلة القرون السابقة أعمق في النفوس من أن يستبدل به أي منهج آخر ، وكانت الجاهلية أحقر من أن تطاوله أو تطمع في أبنائه .

- روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لينقضن الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة يتشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضا الحكم وآخرهن نقضا الصلاة "

- وقد أدرك الغربيون – التي تولت حضارتهم قيادة الفكر البشري وتوجيه الحضارة الإنسانية – أهمية الحكم في الإسلام فعملوا على إبعاد أحكامه وإلغاء الخلافة – العقد الذي يجمع المسلمين ليتبعثروا بعد ذلك - . كما أن خبراءهم لم يجمعوا في الشئون الإسلامية على شيء مثل إجماعهم على توقع الخطر من جانب الشعوب الإسلامية التي يرون مظاهر اتحادها وطلائع تكتلها حقيقة واقعة يصعب تجنبها .

- يجد القارئ هذا الإحساس واضحا في كتاب (حاضر العالم الإسلامي) للوثروب ستودارد ، وكتاب المستشرق الهولندي هورجرونيه ، كما يجده في مقال الوزير الفرنسي المشهور (هانوتو) الذي رد عليه محمد عبده في مطلع القرن العشرين ، ويجده بشكل أكثر صراحة في كتاب (إلي أين يتجه الإسلام) الذي أشرف على نشره وجمع مواده المستشرق الإنجليزي (هـ . أ . جب) سنة 1932.

- برز عطف حكومات الاحتلال الغربية على كل مشاريع الحكومات الوطنية في الشرق الإسلامي والعربي منه خاصة التي من شأنها تقوية الشعوبية فيما وتعميق الخطوط التي تفرق بين هذه الأوطان الجديدة ، مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم على الإسلام لتلاميذ المدارس وأخذهم بتقديسه ، والاستعانة على ذلك بالأناشيد ، ومثل خلق أعياد محلية غير الأعياد الدينية التي تلتقي قلوب المسلمين ومشاعرهم على الاحتفال به .

- بقي العالم الإسلامي يمثل كتلة سياسية واحدة رغم ما أصابه من انحراف وجمود ، ورغم ما أصابه من فرقة وتشتت ، يتمسك بمفهوم الولاء والبراء الإسلامي ، ويجمعه رمز الخلافة ، والبيت الحرام . ويطلق على غير المسلمين الكفار ، ولا يقبل الخضوع لهم ، بل ويتحداهم رغم ضعفه وهوانه .

- وكانت قد ابتدأت فيه عوامل اليقظة الفعلية وكان من الممكن أن يستعيد ذاتيته ودوره في التوجيه العالمي وفي قيادة العالم عندما انبثقت من قلب الجزيرة العربية – منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريبا (القرن الثاني عشر الهجري) – دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيدة عن التحديات الخطيرة التي واجهها العالم الإسلامي كله من خلال النفوذ الأجنبي الزاحف .

- وهذا ما أعطاها قوتها ومكن لها وأتاح لها فرصة البقاء والتأثير ، كما زاد من قوتها وأثرها أنها انبعثت في مكان الدعوة الإسلامية ، وأنها استهدفت كل المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي قاصدين بيت الله الحرام ،ودعوتها إلى التوحيد أقوى علامات المقاومة للاستعمار والنفوذ الغربي والانحرافات في عالم الإسلام بحسبان أن الإسلام دعوة خاصة لا تقر بالعبودية إلا لله وحده .

- تحولت هذه الحركة إلى دولة عندما التقى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالإمام محمد بن سعود في الدرعية وتعاهدا على نشر عقيدة التوحيد الخالصة ، وتطبيق شرع الله ، ومن ثم بدأ الجهاد في سبيل الله ، حتى عم التوحيد ربوع الجزيرة العربية ، وقد حرص الاستعمار على وأدها والقضاء عليها وحمل عليها الحملات وأوغر عليها صدر الدولة العثمانية التي رأت فيها خطرا عليها وعلى نفوذها ، فتمكن محمد علي باشا والي مصر من إسقاطها . ولكن الحركة لم تمت بل وسعت مداها وتأثر بها دعاة السلفية في الهند والعراق والشام ومصر والمغرب جميعا ، فكان من تلاميذها الألوسي الكبير في بغداد ، وجمال الدين القاسمي في الشام ، وخير الدين في تونس ، وصديق حسن خان في يهوبال بالهند ، وأحمد بن عرفان الشهيد بالهند .

- سجلت الحركة يقظة إسلامية قبل قدوم نابليون بأكثر من ستين عاما . وانبعثت منها السنوسية على يد محمد بن علي السنوسي ، الذي تلقاها في مكة وكونت جيلا قادرا على أن ينشر الإسلام في أنحاء أفريقيا ويشكل في الوقت نفسه كتائب للجهاد في سبيل الله في الجزائر وليبيا . وكان قد بدأ عمله الجاد عام 1258 هـ / 1842 م بالبيضاء في الجبل الأخضر حتى توفي سنة 1273 هـ / 1856 م .

- وبالدعوة السنوسية واصل الإسلام مده في أفريقيا فأصبحت بحيرة تشاد مركزا للإسلام في أواسط أفريقيا ثم امتد عمل السنوسيين حتى بلغ النيجر الأدنى . وتأسست ممالك إسلامية مثل سلطنات رابح وأحمد وساموري . حتى أن مسيو (رودفريرجن) قال : " إن السنوسية هي المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر وأن السنوسية هي المدبرة لجميع نكبات فرنسا في الشمال الأفريقي

- ...وفي السنغال . . . وهي العقبة في سبيل توسعنا الاقتصادي والسياسي داخل أفريقيا وهي عائق في طريق أهدافنا في القارة الواقعة شمال خط الاستواء "وقد تحولت الحركة كليا إلى مقاومة عسكرية مسلحة عندما دخلت إيطاليا طرابلس الغرب عام 1329هـ / 1911 م

- كذلك برزت في السودان حركة ثالثة وهي حركة محمد أحمد – الحركة المهدية – وقامت حركته على الجهاد وتحرير مفهوم الإسلام من البدع والخرافات معا ، واستطاعت الحركة أن تواجه الحملات التي شنتها بريطانيا في ظل احتلال مصر (1300 – 1316 هـ / 1882 – 1898 م) وأن تسحق كل عمليات الغزو التي وجهت إليها.

- تمكن (كتشنر) القائد الإنجليزي من القضاء على ذلك الكيان عام 1316 هـ بعد أن تمكنت بريطانيا من عزل الدعوة عن جيرانها المسلمين وتشويهها .

- حاول المستعمر الغربي تشويه الحركات الإسلامية الثلاث وعمل على القضاء عليها جميعا وعلى الحركات التي مثلها تقوم على أساس الإسلام في الحكم وتعلن الجهاد في وجه الغاصب . وعمد إلى إشاعة فكرة فصل الدين عن الحياة في العالم الإسلامي .

- ابتدأ الانحراف غير المقصود عن الحكم بالإسلام في جناحي العالم الإسلامي القويين – تركيا ومصر ، من منطلق التخلص من جمود الفقه الإسلامي أمام التغيرات الحيوية الجديدة ومن توهم المسلمين بأن سبب تخلفهم هو عجزهم التنظيمي والإداري وأن محاكاة أساليب الحياة الغربية جديرة بالقضاء على ذلك التخلف . وعلى هذا الأساس قامت الحركة المسماة حركة الإصلاح في جناحي العالم الإسلامي ولمرونة المفهوم واتساعه صاحب حركة الإصلاح من سوء الفهم وغبش التصور مما أدى آخر الأمر إلى سحق الشريعة الإسلامية باسم الإصلاح

- نشأت في تركيا حركة ثورية تطالب بالإصلاح الداخلي الذي تمثل في وضع حد لسلطة السلطان عبد الحميد المطلقة ، وقد لمع اسم مدحت باشافي حركة الإصلاح المرنة هذه فصمم على إيجاد دستور وفق الأحكام الغربية الصرفة بغية إرضاء الدول الأوروبية ليلقى الدعم والتأييد وذلك في زمن السلطان عبد العزيز والسلطان مراد الخامس والسلطان عبد الحميد حيث تولى الصدارة في عهده تحت ضغط الدول الأوروبية ليفسح لهم المجال في نشر الأفكار الغربية فوضع

دستورا دعاه : قانون أساسي عام 1294 هـ استوحاه من الدستور البلجيكي ، فأصبح الدستور البلجيكي المعدل دستورا للدولة الإسلامية العثمانية بعد أن كان الإسلام هو دستور الدولة فلم ينفذه السلطان عبد الحميد ونفى مدحت باشا وقد ثبتت اتصالاته بالانجليز في وقت كان فيه (دزرائيلي) . اليهودي رئيسا لوزراء بريطانيا .

- وأخذ عبد الحميد يدعم مركز الخلافة وتقوية الجامعة الإسلامية فقامت خلية جماعة الاتحاد والترقي في سلانيك. التي عملت على إسقاط عبد الحميد وإقصاء الشريعة الإسلامية من حكم تركيا - ، - ثم مصطفى كمال الذي قضى نهائيا على الشريعة الإسلامية في تركيا . وسار بتركيا مسيرة من يجعل الإسلام أجنبيا عن الحكومة التركية . وكان قادة حركة الإصلاح التركية من مختلف الميول والاتجاهات فضياء الدين وقع في يده كتاب أدمون ديمولان عن سر تقدم الانجليز السكسونيين ومن ثم اعتنق فكرة اللامركزية .

- أحمد رضا كان قد تعرف على أوغست كونت فاعتنق الوضعية إلى حد أنه أصر على تأريخ منشوراته بالتاريخ الخاص بالوضعيين وحذف التاريخ الهجري . وأمه نمساوية وأبوه كان يعرف باسم انجليزي علي بك نظرا لميوله للإنجليز وحبه لهم .

- نامق كمال كان وطنيا متأثرا بالنزعة القومية التي عاصرها أثناء إقامته في العواصم الأوروبية المختلفة .

- وأما مصطفى كمال فقد تمت صناعة بطولته بكل دقة وألقى اليونان في البحر فكان على يديه انتهاء الخلافة وإعلان العلمانية ، بل وصف الأمير شكيب أرسلان حكومته أنها : دولة مضادة للدين والحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء

- والواقع أن مصطفى كمال قد صنع نموذجا صارخا للحكام في العالم الإسلامي بالتخلي عن أحكام الإسلام وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذأثره في سياسات من جاء بعده منهم . كما أنه أعطى الاستعمار الغربي والشيوعي مبررا كافيا للقضاء على شريعة الإسلام .

- **أما في مصر :**

فقد حاول نابليون بونابرت . عندما قام بحملته على مصر عام 1798 م (كما سبق) – تنحية الشريعة الإسلامية ، وإحلال قانونه بدلا منها ، فقاومه علماء الأزهر ، ومعهم الأمة ، ففشل ، وفشل خلفه (كليبر) الذي سقط قتيلا بيد (سليمان الحلبي) المسلم رحمه الله ، وكذلك فشل جاك مينو الذي تظاهر بالإسلام واسمى نفسه عبد الله وتزوج مسلمة من رشيد واسمى ابنه سليمان .

- ثم بدأ الانحراف عن الشريعة منذ زمن محمد علي باشا . وفي عهد إسماعيل الذي كان هدفه الأكبر هو أن يجعل مصر قطعة من أوربا .

- وأما في عهد الاحتلال البريطاني فقد لقي دعاة الإصلاح تشجيعا من كرومر لأن هذا الإصلاح يحقق له هدفين :

- فقد لقي دعاة الإصلاح تشجيعا من كرومر لأن هذا الإصلاح يحقق له هدفين : -فهو يشغل الرأي العام بما يطرح على بساط البحث من مسائل وما يثار من مشاكل فينصرف عن الانسياق في تيار الكراهية للاحتلال الإنجليزي . -ثم إن الإصلاح يدعم في الوقت نفسه حجة الاستعمار في أنه دائب على العمل لترقية مصر وإصلاحها . ولذلك أطلق كرومر في دعوته عدد من النصارى بعضهم من الشام وبعضهم من مصرفأخذوا بمساعدة بعض العلماء والزعماء يعملون على حركة إلغاء الإسلام أو عزله عن شئون الحياة كلها .

- فأحمد لطفي السيد (أستاذ الجيل) كتب في جريدته : (الجريدة) : " إن الإنجليز هم أولياء أمورنا في الوقت الحاضر ، ولا ينبغي أن نحاربهم ، ونقاومهم ، إنما واجبنا أن نتعلم منهم ، ثم نتفاهم معهم ، بعد ذلك ، لتصفية ما بيننا وبينهم من خلافات "

- وأنشئ الحزب الوطني الحر الذي نطقت باسمه جريدة المقطم الصريحة في ولائها للانجليز لا تستخفي ولا تداري ،وكذلك حزب الأمة الذي دعا إلى التحرر الفكري والتعاون مع الأوربيين في كل مجالات الحياة ثقافيا وإقتصادياً وسياسياً وكان اللورد كرومر يسميهم حزب الشيخ محمد عبده ويعقد عليهم الآمال في مستقبل مصر السياسي ويوصي ممثلي الاحتلال بأن يمنحوهم كل عون وتشجيع .

- كان الانجليز أيضا يحتضنون في مصر كل مناهض للسلطان العثماني وكل معارض للخديوي الذي يستمد وجوده الشرعي من ذلك السلطان وكل داع إلى الإصلاح الداخلي ، لأنهم يريدون أن يشغلوا الناس عن التفكير في الجلاءفكانت سياستهم تدور حول خطتهم السياسية المشهورة : فرق تسد Divide in order to conquer.

- وكانت بريطانيا عازمة على إلغاء الشريعة الإسلامية فور تمكنها من البلاد غير أن كرومر رأى أن أفضل وسيلة لذلك هو تفريغ المحاكم الشرعية من محتواها بأن يتولاها علماء : (ذوي طابع تحرري) تتم تربيتهم بإشرافه في معهد خاص لقضاة الشرعوأنشأ مجلس شورى القوانين .

- عاصر الشيخ محمد عبده رجل آخر من دعاة الإصلاح في الشام هو عبد الرحمن الكواكبي (ت سنة 1320 هـ / 1902 م) وهو أول من نادي بفكرة فصل الدين عن الحياة بمفهومها الأوربي الصريح فهو يقول في كتابه طبائع الاستبدادواقتفى الأثر عدد من الكتاب الصحفيين وغيرهم يطالبون بضرورة فصل الدين عن السياسة وإبعاده عن واقع الحياة باعتباره الحل الوحيد لمشاكل الشرق ، وكان لجهود المستشرقين ودسائس المبشرين أعظم الأثر في تحقيق ذلك .

- ظهر كتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) بوحي من المبشرين دعا فيه إلى فصل الدين عن الدولة بصراحة بأسلوب المستشرقين في تحوير الفكرة واقتطاع النصوص وتلفيق الواهيات وطريقة الباطنية في التأويل البعيد .

- كان لكتابه آثار بعيدة فقد ترجم إلى اللغات الأجنبية وأصبح مرجعا معتمدا للدراسات الإسلامية في الغرب . وظهرت كتاباتهم متأثرة به وهلل له سماسرة الاستعمار من الكتاب والصحفيين باعتبار مؤلفه متحررا متنورا ، ووضعه البعض على رأس مرحلة فكرية عصرية . في حين ووجه بمعارضة شديدة من المسلمين المخلصينوقد وجدت الأحزاب السياسية في كتابه ضالتها المنشودة فلم تعد تتحرج في إعلان انتمائها للاتجاهات السياسية اللادينية شرقيها وغربيها وبراءتها من الدين والمتدينين .

- ظهرت أفكار كثيرة تبرر انتهاج الطرائق الغربية في الحكم وأسهمت وسائل الاعلام – لا سيما الصحافة – في نشر وتعميم تلك الأفكار حتى استحكمت غربة الشريعة وخفت صوت المكافحين عنها ، بل أصبح – في نظر الغالبية العظمى – رمزا للرجعية والتأخر وسط ضجيج الدعوة إلى الإصلاح والتجديد وصخب الشعارات التي رفعتها الأحزاب القومية والوطنية والإقليمية والاشتراكية المتصارعة ، فانسحب الإسلام من الحياة السياسية ليتخبط العالم الإسلامي وهيئاته السياسية في تجارب حكم جديدة .

- وترتب على ذلك انسحابه من ميادين الحياة الاقتصادية تماما وسيادة المبادئ الرأسمالية والاشتراكية المتصارعة ، كما انسحب تدريجيا من الحياة الاجتماعية (كما سبق) ، وانزوى في ركن واحد من العالم الإسلامي هو منبعه الأصلي في جزء من شبه الجزيرة العربية .

- **ونرى لزاما علينا أن نلخص آثار الاستعمار السياسية في العالم الإسلامي لتتضح صورة الواقع السياسي لبلاد الإسلام :**

فقد خطا المسلمون خطوات واسعة في سبيل التحرر من الاستعمار وأفسدوا حلمه في البقاء الطويل ، فاندلعت ثورات في الهند واندونيسيا ومصر والجزائر والمغرب وليبيا والسودان والتركستان والقوقاز وأقطار أفريقيا الإسلامية فعمد الاستعمار إلى أساليبه المختلفة في إبقاء آثاره والحيلولة دون لقاء المسلمين ووحدتهم ، فيثبت أوضاع المسلمين بعد رحيل الاستعمار كما هي بل وأشد انحرافا عن منهج الإسلام وشريعته . **ومن هذه الآثار التي تركها :**

1- اقتسم المستعمرون العالم الإسلامي فمزقوا وصلاته بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا وهولندة وأسبانيا والبرتغال وقد ترك كل منهم بصماته في الأقاليم التي تركها .
2- انتزع المستعمرون أقساما من العالم الإسلامي وسلموها لغير المسلمين مثل فلسطين ، واريتريا ، وصومال أنفدي والصومال الغربي ، وقبرص ، ولبنان ، وكثير من الأقطار الإسلامية الواسعة داخل الاتحاد السوفييتي ، وأوربا الشرقية.
3- جزأ الاستعمار العالم الإسلامي ، وأقام الحدود المصطنعة وأبقى لكل قطر مشكلة مع جيرانه بعد رحيله ليحول بين المسلمين والتعاون فيما بينهم ولن تعوزنا الأمثلة لذلك : الصومال مع جيرانه ، العراق وإيران ، سوريا وتركيا ، مصر وليبيا ، السودان وجيرانها التسع ، المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا ، تنزانيا ، نيجيريا ، أندونيسيا وماليزيا ، الهند وياكستان ، ثم بنغلاديش والهند ، كشمير ، اليمن الشمالي والجنوبي وعمان ، ومشكلة كل قطر مع الآخر مستعصية ، لا يحلها إلا الإسلام الذي أقصي عن الساحة .
4- عمل الاستعمار على نشر لغته وتاريخه وعاداته في بلاد الإسلام وحارب اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وشوه تاريخ الإسلام ليؤكد الطابع الإقليمي والوطني لكل قطر وليحول دون لقاء المسلمين .
5- عمل على نشر الحكم الفاسد في بلاد المسلمين ، فحصر الوظائف في أيدي أعوانه وممثليه وأشاع روح الفرقة بين أبناء البلد الواحد فعملوا على الفصل بين العرب والمسلمين ، وبين الترك والعرب وبين المسلمين والنصارى في بلاد الشام ومصر ، وبين المسلمين والهندوس في الهند ، وأثاروا الخلافات واستغلوها بين أهل السنة والشيعة . والعرب والبربر ، وجمد الاستعمار المجتمعات البدوية وجمد القبليات ، وحرص على عدم انصهارها في المجتمعات الكبرى بل فرق بين الريف والمدن والبادية ، وعمق المشكلة الطائفية وغذاها وفرضها ووجهها الوجهة التي تخدمه في بلاد الإسلام .
6- شجع الأحزاب القومية والوطنية والطائفية والإلحادية التي عملت على تمزيق البلاد بتناحرها وولائها للأجنبي ، لتخدمه وتخدم مصالحه . واصطنع الزعماء في كل قطر إسلامي ، وسرق الثورات وزرع الخوف في نفوس كثير من المسلمين وأبعد مفهوم الجهاد وحاربه بمختلف الوسائل . وجاءت أمريكا (الولايات المتحدة الأمريكية) مع روسيا لترث الاستعمار – فوضعت خطة سميت لعبة الأمم وتعني النشاط الذي بدأته وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن بغية وضع المخططات المناسبة لبسط النفوذ الأمريكي على بلاد العالم عن طريق السياسة والخداع بدل اللجوء إلى الحرب المسلحة ، وبذلك يقترب المعنى من : التخطيط السياسي للصراع على مناطق النفوذ في العالم عن طريق الحرب الباردة .

وأسفرت هذه الآثار عن إقصاء الشريعة الإسلامية عن ميدان الحكم في العالم الإسلامي ، وأصبح عدد دوله التي ظهرت بعد سقوط الخلافة العثمانية كبيراوجميعها تعد من دول العالم الثالث الموصوف بالضعف والتخلف ، وتقع هذه الدول في قارتي آسيا وأفريقيا ودولة واحدة في أوربا هي ألبانيا ، هذا عدا عن الأقاليم الواسعة التي لا تزال ترزح تحت الاحتلال الأجنبي في الاتحاد السوفييتي والصين وفلسطين وغيرها والدول التي لا يشكل المسلمون فيها أغلبية تزيد على 50 %

هذا وتتصل معظم الدول الإسلامية الحالية بالتبعية السياسية في مجال الحكم والاقتصاد والفكر ، وهذا ما يجعل أوضاعها غير مستقرة وعرضه لأطماع المعسكر الشرقي والغربي على حد سواء كما اتصف بالعجز في مواجهة التحديات العنيفة التي يواجهها من الصليبية والصهيونية في البلاد العربية وأفريقيا ، والهندوسية في شبه القارة الهندية ، والشيوعية في تركستان والصين وأفغانستان.

المحاضرة السابعة

الصحوات الإسلامية

الاتجاه إلى التزام المسلمين بالإسلام

تحاول الأمة الإسلامية أن تتجاوز المحن الكثيرة والتحديات التي تعترضها رغم وسائل التدمير والهمجية ، كما تحاول أن تلم جراحها وأن تتعرف على مواطن الضعف في حياتها التي كانت منافذ للعدو وثغرات تسلل منها ، وأن تتلمس مواطن القوة لتنطلق مرة بعد مرة وخاصة فقد بقي لها الإسلام علما وحضارة وثقافة وانتماء وبقي كتابها وسنة رسولها الأمر الذي يمكنها من الصمود ويعينها على النهوض والمواجهة من جديد .

ولقد شهد القرن الرابع عشر الهجري محاولات ومؤامرات ومكائد لا تحصى عددا ولا تقدر ضخامة وشراسة استهدفت القضاء على الإسلام وتركيع المسلمين ومصادرة ونهب خيرات العالم الإسلامي ومقدراته

القضايا التي سنستعرضها والقضايا الأخرى الكثيرة التي لم نتمكن من استعراضها لضيق الوقت والمجال (كتطور الأزمة اللبنانية وتفاعلاتها ، والحرب العراقية الإيرانية والغزو التنصيري لأقطار أفريقيا وقضية جنوب السودان وتشاد وغيرها) إلا حلقات في مسلسل التآمر على الإسلام والعالم الإسلامي قادتها القوى العالمية الثلاث : الصليبية (الامبريالية الغربية) والصهيونية العالمية ، والشيوعية (الإمبريالية الشرقية) . قال تعالى : (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ) وقال تعالى (وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) .

ورغم كل ذلك فقد شهد الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري صحوة إسلامية مباركة ورجوعا إلى الله .

ورغم كل ذلك فقد شهد الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري صحوة إسلامية مباركة ورجوعا إلى الله بعد أن خاض العالم الإسلامي تجارب كثيرة من الرأسمالية إلى الشيوعية ، ورفع أكثر أقطاره كثيرا من الشعارات : الحرية ، والديمقراطية ، والتقدمية ، والاشتراكية ، والقومية ، والوطنية . .

وكلها تجارب باءت بالفشل وشعارات تساقطت الواحدة تلو الأخرى ، ذلك لتصادم هذه الأنظمة والشعارات مع فطرة الإنسان ، فكفر الناس بالفلسفة وفلاسفتها وبالآراء ومفكريها ، وأخذ بعضهم يعود إلى الله – وعاد المسلم يلمس بل يؤكد أن هذا الدين مقبل ليأخذ بيد الإنسان الشرقي والغربي على السواء إلى طريق الخير . قال تعالى : (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ)

وقد تمثلت هذه الصحوة في الدعوة لأن يعيش المسلمون إسلامهم في جواهره الثابتة ، وقيمه الخالدة ، وآدابه السامية ، وأن ينطلقوا منه لمعالجة شئون عصرهم .

ومن أسباب ذلك :

1- أن الإسلام هو دين الفطرة للإنسان ، القادر دائما على إعادة صياغة من يوهمون بالانحلال والتمرد على العقيدة والقيم ، إذا توفر المنهاج التربوي الصائب ، ووجدوا علماء الآخرة الذين يفقهون تزكية النفوس ويحكمون صياغة العقول وتوحيد الجهود ، ويعطي التفسير الصحيح للوجود ولمركز الإنسان فيه ولغاية وجوده الإنساني في إعمار الأرض واستخلافه فيها ، ويكسبه الراحة النفسية بإدراكه غاية وجوده . قال تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)
قال تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

فالآية تجعل الإسلام ليس فقط دين الفطرة ، ولكن الفطرة نفسها التي فطر الناس عليها ، فالإسلام دين الله هو والفطرة الإنسانية السليمة شيء واحد وان مبادئه وأحكامه مطابقة تماما لسنن الفطرة ، وأما ما يعتور الناس من عوج فهو أمر طارئ راجع إلى الخروج عن التربية الإسلامية الصحيحة أي إلى عدم تنشئة النشء على أصول الإسلام وأخلاقه وأعماله. يقول ابن تيمية (رحمه الله) : " ماذا يصنع بي أعدائي ، إن جنتي وبستاني في صدري لا تفارقني – إن قتلي شهادة ، ونفيي سياحة ، وسجني خلوة " .

2- انهيار الحضارة الغربية بفرعيها الرأسمالي والشيوعي : فقد انكشف زيف هذه الحضارة لماديتها المفرطة وخوائها الروحي فأوقعت حياة الرجل الغربي في الفراغ وعجزت عن تقديم الحلول المقنعة لهدف الإنسان من الحياة ، عندما جحدت الإله الذي يفزع إليه وقت الشدة ، فأوصلت الإنسان إلى الشقاء والتمزق الداخلي والتوتر العصبي والفزع ، والهروب من الحياة إلى الكحول والمخدرات والشذوذ الجنسي ، والبحث عن الصرخات والموضة ، وأخيرا إلى الانتحار لوضع حد لهذه الحياة البائسة التعيسة كما فعل جاكوب مارينو ، وارنست همنجواي ونيتشه وغيرهم .

وامتلأت المسرحيات بهذه الآلام والتعاسة ، وأخذ الذين ساروا على نمط الحياة الغربية من المسلمين يواجهون المصير ذاته ، ويعانون التمزق نفسه .

- وامتلأت المسرحيات بهذه الآلام والتعاسة ، وأخذ الذين ساروا على نمط الحياة الغربية من المسلمين يواجهون المصير ذاته ، ويعانون التمزق نفسه .

وقد مرت الحضارة الغربية بأطوار ثلاثة هي :

1. طور الهروب من الله بالثورة على الكنيسة والتحرر من سلطان الدين .
2. طور فتح أبواب كل شيء عليها : الإنتاج والإبداع في نواحي الحياة المادية .
3. طور الضمور والإفلال والاستبدال (: والحضارة الغربية اليوم في هذا الطور الأخير .

- يقول جود الإنجليزي : " إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة ، ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش " .

- وهذا ما جعل الصيحات الدينية المتخلفة الشاذة المنحرفة تنطلي على الناس الذي اتصفوا بالخواء الروحي والفراغ العقدي ، كالبهائية في ثوبها الجديد على يد (صون مون) البليونير الأمريكي الكوري الأصل ، الذي ادعى أن الوحي ينزل عليه ، وزعم الاتصال بالمسيح منذ حوالي نصف قرن ، ومن ورائه الأصابع الصهيونية الماسونية ، في محاولاتها لتهديم بقايا الأديان وبقاء سيادة المادية . وكمحاولة (هوبكتز) المبشر النصراني في التقريب بين الإسلام والنصرانية في لبنان بإقامة : جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية . ومن العجيب أن صون مون اختار تركيا لإعلان بيانه العجيب وادعائه بالنبوة التي زعم أنه يتلقاها عن المسيح منذ عام 1936.

- ماذا يحدث في البلدان الاشتراكية بعد (البروسترويكا) وهو الكتاب الذي بين غورباتشوف فيه سياسته الجديدة بعد إفلاس الشيوعية . حيث تم سقوط ما يسمى بالاتحاد السوفيتي بالفعل .

- كما أن الاشتراكية أخذت تتهاوى في الأقطار التي تزعمتها ، فقد تخلت الصين عن كثير من أفكارها ، كما تنازل الاتحاد السوفييتي زعيم الاشتراكية العلمية عن كثير من أفكارها . في عهد غورباتشوف وبين عجز النظرية الماركسية وقصورها . ومن الجدير بالذكر أن الحضارة الغربية لن تنهار بالسرعة التي يتخيلها بعض الناس ، ففيها من المرونة وخاصة ما يسمى بالحل الوسط ، والقدرة على المناورة والصبر في المفاوضات حتى بين الشقين المتضادين الرأسمالية والاشتراكية ما يمد في عمرها ، إذا بقي المسلمون في سباتهم .

والواقع أن الإسلام هو المرشح الوحيد لوراثة الإنسان الغربي في قيادة البشرية ، فهو دين الله الذي ارتضاه للناس منهاجا وإماما – قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) .

- وكان الغرب ولا يزال يدرك أهمية الكتاب (القرآن الكريم) في تحقيق وحدة المسلمين ، فكان كرومر عميد الاستعمار الإنجليزي في مصر يقول " لا يمكن للاستعمار أن يعيش ويستقر وسط أمة طالما ظل هذا الكتاب فيها " . والكتاب تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه ، ولم يكله لأحد ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

- أما المسلم فيؤمن ويعتقد بأن المستقبل لهذا الدين – الإسلام – للنصوص الثابتة المحكمة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية والتي تبشر بذلك

- قال تعالى (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) .

- وقال صلى الله عليه وسلم : " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز الله دين الإسلام وذلا يذل من كفر " .

- وهناك أحاديث صحيحة كثيرة تشير إلى أن نهاية اليهود ستكون في فلسطين ، وأن الجيش الذي سيقاتلهم جيش مسلم . قال صلى الله عليه وسلم : " تقاتلون اليهود ، فتسلطون عليهم ، حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر ، فيقول الحجر : يا عبد الله : هذا يهودي ورائي فاقتله "

- وقال صلى الله عليه وسلم " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي ، يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله .

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يستعرض التاريخ المقبل للأمة المسلمة من لدن نبوته : " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إن شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضا فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة " ، ثم سكت .

- هذا كله يؤكد حتمية رجوع الإسلام إلى مركز السيادة وموضع القيادة ويحقق الانتصارات فيسود ويعم أرجاء الوجود بإذن الله .

- ومن كتاب الغرب أنفسهم من رشح الإسلام كمنقذ للبشرية . قال (ديباسكييه) الفرنسي : " إن الغرب لم يعرف الإسلام ، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفا عدائيا منه ، ولم يكف عن الافتراء عليه والتنديد به ، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام ، ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لا بد ان استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان ورأى جارودي أن الحضارة الغربية تقود العالم إلى الانتحار فأسلم عدد كبير من فلاسفة الغرب وكتابه كرجاء جارودي (روجيه جارودي الذي أسلم عام 1982 م)

- وعبد الله أليسون الانجليزي رئيس قسم الهندسة الالكترونية بجامعة لندن ، وأسلم أثناء انعقاد المؤتمر الدولي للإعجاز العلمي والطبي في القرآن الكريم في القاهرة من 11 محرم إلى 13 محرم سنة 1406 ه

- ونتيجة لذلك برزت مع نهاية القرن الرابع الهجري ظواهر صحية تدل على الاتجاه لالتزام الإسلام ومن هذه الظواهر – مظاهر الصحوة – :

- - المدارس التي خطط دعاة التغريب ، أخذت تدفع الأفواج إلى الله ، كما بدأت المناهج في بعض الأقطار الإسلامية تأخذ مسارا لا بأس به باتجاه الإسلام .

- - - الجامعات التي سهر دعاة التغريب على مناهجها وظنوها مراكز التدمير أصبحت تقدم نماذج الشباب الصادق الملتزم بإيمانه وعقيدته فأصبحت كبلاط فرعون يربى فيه موسى عليه السلام ليهدم بيده عرش فرعون . فانتشرت الدعوة انتشارا واسعا في صفوف المثقفين من الأطباء والمعلمين والمهندسين ، ومن طلاب الجامعات في شتى التخصصات .

- وبقي الأزهر رغم ما خطط له ينير السبيل أمام المسلمين في جميع أنحاء بلاد الإسلام ويغذيهم بشبابه وشيوخه . وتصل عن طريقه الدعوة إلى مختلف أجزاء الأرض .

- وشمخت الجامعات الإسلامية وطاولت غيرها وتفوقت على الجامعات العلمانية وأقبل عليها الشباب المسلم من مختلف بقاع الإسلام ، كما هو في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة أم القرى وفي باكستان وماليزيا وغيرها في أرض الإسلام ، ليتخرجوا دعاة إلى الله .

- وخفت صوت دعاة التغريب وتواروا بأفكارهم بعيدا وكسدت بضاعتهم وكلت أقلامهم . وأصبح نقد هؤلاء ، والدفاع عن الإسلام ليس هدفا بحد ذاته ، وكثر نقد الحضارة الغربية بشقيها (الاشتراكي والرأسمالي) بنظرات إسلامية عميقة مستنيرة ..

- كما أصبح الكتاب الإسلامي هو أكثر الكتب رواجا في الأسواق وأقبل أصحاب المطابع عليه حتى أصحاب المطابع النصرانية (طبعا بقصد الربح) وكسدت كتب الأدب الرخيص والشعر الماجن والمجلات الخليعة . وازدادت العناية بالتراث الإسلامي ونشره في مصر والمملكة العربية السعودية والعراق والهند (دلهي وحيدر آباد] والإتحاد السوفييتي ودول الغرب .

- وأصبحت مكة والمدينة قبلة الشباب والشيوخ فعلا ، فالرحلات والنزهات وقضاء أوقات الإجازات والعطل الرسمية تكون عمرة مباركة وزيارة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وظهرت العناية الكبيرة بأماكن الحج والمدينة المنورة ، فأصبحت مكان الجاذبية للمسلمين .

- وأصبح الفكر الإسلامي والصوت الإسلامي والشخصية الإسلامية حديث المنتديات الفكرية في الشرق والغرب . فتأسس المركز الدولي للسنة النبوية على سبيل المثال لمواجهة من أساء إلى السنة من المستشرقين والمستغربين بتخريج الأحاديث .

- وأصبح أصحاب المناصب والهيئات في العالم الإسلامي يتلبسون بثياب الإسلام أو يحاولون أن يتلبسوا على الأقل ، ويلتمسوا نقاط التشابه بين واقعهم وبين الحياة الإسلامية .

- وبرزت المظاهر الإسلامية في الأفراح والأحزان والمظهر الشخصي – (مثل العقيقة ، واللحية ، وعزل النساء عن الرجال في قاعة الدرس ، وفي حفلات الأعراس ، والامتناع عن تقديم الدخان في المآتم والأفراح ، والإعراض عن لبس خواتيم الخطية وخاصة الذهبية منها ، واللباس الإسلامي . . . وغيرها) .

- وظهر تحري الحلال والحرام في المأكولات المستوردة والمعلبات والذبائح والحلويات والمعجنات والصابون واللحوم المثلجة والمرطبات ، والتدقيق على خلو الأطعمة والأشربة من شحم الخنزير والكحول .- إنتشار اللباس الشرعي للنساء ، والاتجاه إلى الزي الإسلامي للرجال ، وقد أخذ يظهر هذا بوضوح في المدارس والجامعات والمعاهد .- تحري الحلال في استغلال الأموال واستثمارها ، فبرزت البنوك الإسلامية .- انتشار وشيوع أشرطة القرآن الكريم والندوات والخطب الإسلامية والإقبال الشديد عليها .- عودة المسجد لتأدية دوره ، فامتلأت المساجد بالشباب ، ومنها

تقوم الرحلات لنشر الدعوة الإسلامية ، ودعوة الناس إلى الكتاب والسنة .- الإعتزاز بالفكر الإسلامي وانتقال المفكرين من دور الدفاع ورد الشبهات إلى دور التحدي ، ومن مرحلة الإستحياء إلى مرحلة البروز

- إنحسار الشركيات كالطواف حول القبور والذبح لها ودعاء الأموات والتوسل بمشايخ الطرق وأمثالهم من الدجاجلة ، وبدأت عقيدة التوحيد الصافية النقية بشق طريقها إلى القلوب على يد المخلصين من هذه الأمة .

- وبعد أن كانت الدولة التي تقيم حدود الإسلام – المملكة العربية السعودية – توصف بالرجعية والتخلف ، تطاردها سهام وسائل الإعلام من مختلف الجهات ، أخذت اليوم تبرز في المحافل الدولية العربية والإسلامية بوزن كبير واعتزاز .

- وأصبحت المناداة بتطبيق أحكام الإسلام تجد صدى كبيرا ، وتقترب بعض الدول منه . مثل باكستان والسودان ، وأخرى ترتفع فيها الأصوات تنادي بتطبيق شرع الله كما في مصر وبنغلاديش وماليزيا واندونيسيا والجزائر والمغرب ، وحتى في تركيا المجتمع العلماني

- وأخذ الإسلام يغزو الغرب فأسلم كثير من المتخصصين في شتى العلوم ومنهم الفلاسفة ورجال السياسة والدين ، وشهدوا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحفظ للبشرية كرامتها أفرادا وجماعات . واندفع ألوف من البشر (ممن يبحثون عن الخلاص في أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقيا) إلى الدخول في الإسلام .

- - إحياء فكرة التضامن الإسلامي على المستويين الرسمي والشعبي ونشاطات الندوات والمؤتمرات التي تبحث في قضايا الإسلام – السياسية والتربوية والأدبية - .

- كما ارتفعت المساجد والمآذن في كل ركن من أركان أوربا وأمريكا انطلق منها نداء الله أكبر ، عامرة بالمصلين والمؤمنين . .

- - اتفاق معظم المسلمين اليوم على تحديد خصومهم : الاستعمار ، والصهيونية ، والرأسمالية والشيوعية ، كمخاطر خارجية ، إلى جانب المشكلات الداخلية المتمثلة في قضايا التخلف والتنمية والفقر والجهل والمرض . وبذلك فهم يسيرون نحو الوعي بالذات .

- والمعنى من ذلك كله أن الأمة بإذن الله مجتمعة لالتزام الإسلام رغم قصار النظر من الناس ضعاف الصلة بالله الذين يتيهون في منازع الشر التي استشرت في المجتمعات التي وصفها أهلها باطلا بالتقدم والرقي .

- والواقع أن مظاهر الصحوة هذه لا تكفي فالأمة بحاجة إلى حل إسلامي شامل ، بمعنى أن يكون الإسلام هو الموجه والقائد للمجتمع في كل الميادين والمجالات المادية والمعنوية ، وأن تتجه الحياة كلها وجهة إسلامية .

- أي أن الصحوة الإسلامية هذه لن تكون حقيقية عملية إلا إذا اتخذت امتدادا يشمل كل الاتجاهات ، واتسمت بالوعي الحضاري الشمولي الذي لا يغفل ميدانا من ميادين الحياة ولا أسلوبا من أساليب المواجهة ، وهو بحاجة بدون شك إلى تخطيط وتنسيق ووعي يترفع عن صغائر الأطر التنظيمية أو الحساسية الحزبية ويستشرف الأفق الإسلامي الذي يطل منه على الإنسانية جمعاء . بحيث يظهر إلى الوجود مجتمع الهداية والعدل – مجتمع الإسلام – . وتتضح أمام الأجيال المسلمة طريق النجاة في الدنيا والآخرة . بحيث يكون مرجعها في تصورها للعمل للإسلام من حيث الأهداف والوسائل ، ومواجهة الظروف والأحداث ، ووزن الأشخاص والأشياء ، مستمدا من الكتاب والسنة ، والسيرة النبوية المطهرة ، باعتبارها الترجمة العملية النموذجية للكتاب والسنة .

ويندرج تحت هذا التصور البديهيات التالية : **<u>توحيد الله سبحانه بأنواع التوحيد الثلاثة :</u>**

1. توحيد الألوهية : أي إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة والطاعة . فهذا توحيد قصد وطلب .
2. توحيد الربوبية : أي الاعتقاد بأنه وحده سبحانه هو الخالق الرازق المحيي ، المميت ، بيده ملكوت كل شيء . وهو على كل شيء قدير . أي توحيد معرفة وإثبات .
3. توحيد الصفات والأسماء : وهو الاعتقاد بأسمائه الحسنى ، سبحانه وصفاته العليا ، المنزهة عن كل نقص . أو إثبات الصفات دون تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا تأويل . فيتضح عندهم بذلك مفهوم : (لا إله إلا الله) . بحيث تكون الربوبية والحاكمية والسلطان والتشريع لله وحده . فيكون الإسلام عندهم المعنى الكلي الشامل.

المحاضرة الثامنة

الاتجاه إلى وحدة الجهود وتضامن المسلمين

- تنبه المسلمون إلى خطورة تفرقهم وإلى عوامل ضعفهم وإلى أهمية وحدتهم وتآلفهم والتقائهم ، فارتفعت الأصوات تنادي بأهمية التقاء المسلمين للتشاور والتفاهم بعد أن جربوا كل المذاهب والنظم العربية بشقيها الاشتراكي والرأسمالي اعتقادا منهم أو مجرد ظن بأن هذه النظم لم تغن عنهم شيئا وكانت سرابا خادعا ركضوا خلفه فتعرقلت نهضتهم وتفرقت كلمتهم ، وواقع الأمر أن في العالم الإسلامي مدا كبيرا وقوة شعبية هائلة تقول بالعودة إلى الإسلام من جديد ولا أدل على ذلك من مقاومة التجارب الشيوعية والاشتراكية في بعض بلدان العالم الإسلامي وردود الفعل العنيفة التي ظهرت في بعضها الآخر ضد العلمانية وفصل الدين عن الدولة ، وفصل الدين عن الحياة .

- جربت القوى المسلمة التكتلات الإقليمية والوطنية والقومية وأشهرها : الحلف المركزي الذي ضم تركيا وإيران وباكستان والجامعة العربية التي ضمت الدول العربية جمعاء ودول عدم الانحياز ومؤتمراتها التي ضمت كثيرا من دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ومنظمة الوحدة الإفريقية وغير ذلك من محاولات للوحدة الوطنية أو الإقليمية أو الاقتصادية على غير أسس الإسلام .

- وفي عام 1345 هـ / 1926 م شهدت مكة المكرمة أول مؤتمر إسلامي قام بالدعوة إليه الملك عبد العزيز آل سعود كان بمثابة بدء المحاولات الإسلامية نحو الإتحاد بعد إلغاء الخلافة العثمانية تبعه وسبقه جماعات إسلامية كثيرة شملت الساحة الإسلامية بأجمعها مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر سنة 1347 هـ / 1928 م والجماعة الإسلامية التي أسسها الأستاذ المودودي سنة 1938 م وغيرهما من الجماعات والحركات الإسلامية التي أدت دورها في الصحوة الإسلامية

- بغض النظر عما قيل عن بعضها أو عنها كلها وتركت ميراثا فكريا ضخما في مستوى المواجهة مع التيارات المعادية للإسلام ، ولكنى طغى على كثير من أعضاء هذه الحركات والجماعات التعصب وسارعوا إلى مواجهة بعضهم بعضا ، ووصل ببعضهم إلى تكفير بعض بشكل أعاد إلى الأذهان صورة التعصب المذهبي الذي ساد بلاد الإسلام في عصور الجمود والتخلف . هذه الروح الحزبية جعلت أولئك الأفراد لا يرون احتمال خطئهم وان عندهم الحق المطلق ، والخطأ المطلق عند غيرهم ، فجعلت اللقاءات بين أفرادهم سباقا في الحديث وليس حوارا (والحوار فن يعتمد على سماع آراء الآخرين وفهمها وتفنيدها للتوصل إلى الصواب والرجوع عن الخطأ والحزبي لا يرى إلا من زاوية واحدة فقط ويقوم حديثه على توزيع الآراء وسد النظر فيما يتعلق بنظريته فلا يتسع صدره لآراء غيره ، وهذا أدى بدوره إلى انغلاق بعض الجماعات على نفسها وانعزالها عن الأمة

- وما على هذه الجماعات إذا أرادت أن يستمر دورها الإيجابي في العمل لاستئناف الحياة الإسلامية إلا أن تعيد النظر في تقويم نفسها والابتعاد عن السرية والعمل تحت الأرض لأن ذلك هو الوسط المناسب لاستنبات البذور الغريبة مجهولة الطبيعة والمناسبة للعمل المظلم فتسيء إلى العمل كله وإلى الجماعة كلها وإلى الإسلام ، أما العمل في ضوء النهار فإنه يقتل العفونة ويكشف العناصر الغريبة المستنبتة في الظلام تحت ضوء النهار وتختبر الصبر والصلابة والإخلاص . وعلى هذه الجماعات ما دامت أهدافها واحدة أن تتقارب وتتواد وتتحاب وترد أمورها كلها إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى العلماء المخلصين الذين يستطيعون استنباط تلك الأحكام لا إلى أصحاب الساندويتشات الفكرية ، والعلماء هم أئمة العامة يتصدون لإرشاد الناس ويرون فيهم القدوة الصحيحة .

- عباس أنه قال : " ما ذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه "

- وأما الحق فهو الوحي من كتاب أو سنة . ومرد الاختلاف إلى الله وإلى رسوله . قال تعالى : (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِ اللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ (وقال تعالى : (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) وقال تعالى : (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) وقال سبحانه وتعالى : (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) فهم بحاجة وغيرهم من الدعاة إلى أن يكون عملهم خالصا لله فقط فلا يستكثر أحدهم عمله ويستقل عمل غيره ، كما أنهم بحاجة إلى الحلم والتأني والصبر في دعوتهم قال صلى الله عليه وسلم للأشج رئيس قبيلة عبد القيس : " إن فيك خصلتين يحبهما الله – الحلم والأناة "

- والصبر في حقيقته ألزم لوازم الداعية وأمضى أسلحته وأكمل عدته وقد فهم ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : (وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ) فقال : كونوا حلماء فقهاء . ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره .

- بالإضافة إلى وجوب توفر حسن التفقه والفهم السليم لبعض القضايا الفقهية ، حتى ينتفي النزاع والتخاصم والفرقة ، ويجب إدراك أن الخلاف في الفروع لا يوجب الفرقة والنزاع ، ولا يقطع الألفة والمودة والأخوة . ومن الملاحظ أن الغرور والجرأة على الفتيا بدون أهلية لذلك من أهم أسباب الفرقة بين أفراد الجماعات الإسلامية . وعلى مختلف الدعاة والمؤسسات الإسلامية أن تعمل على تضييق شقة الخلاف وإزالة العقبات ، وأن يبينوا للناس حقيقة الإسلام ، حقيقة التوحيد .

- إن عملية التربية المستمرة ، وتخريج الأجيال المؤمنة ستؤدي حتما إلى التعاون مع السلطة ، أو إلى انحناء السلطة ، فهي من الأمة وليست من خارجها . ومن الممكن أن تدعم العمل الإسلامي بدلا من أن تسهم في القضاء عليه . كما يجب الانتباه إلى تربية المرأة المسلمة تربية إسلامية صحيحة لتقضي على فكرة تحرير المرأة الغربية النزعة واليسارية المنحى . ولتسهم المرأة في حركة إحياء الدين بوعي وإخلاص .

- هذا وقد ظهرت أنشطة طيبة على المستويين الرسمي والشعبي في العالم الإسلامي . كان لجهود المخلصين من الأمة ، وللمملكة العربية السعودية دور بارز في إنجاحها . وأهم هذه الأنشطة .

رابطة العالم الإسلامي

أنشئت بناء على قرار صدر عن المؤتمر الإسلامي العام الأول الذي عقد بمكة المكرمة في 14 ذي الحجة عام 1382 هـ / 1962 م وهي منظمة إسلامية عالمية تمثل فيها جميع الشعوب الإسلامية في أنحاء المعمورة ، ومقرها مكة المكرمة ، ولها مجلس تأسيسي مؤلف من كبار العلماء ورجال الفكر في العالم الإسلامي ولقيت كل التشجيع والمؤازرة والدعم من حكومة المملكة العربية السعودية . وتهتم بمقاومة جميع الحركات والتيارات المعادية للإسلام ، وبمساندة كل عمل الخير للعالم الإسلامي .

ومن أهداف الرابطة :

- تبليغ دعوة الإسلام ، وشرح مبادئه وتعاليمه ، ودحض الشبهات عنه
- التصدي للتيارات والأفكار الهدامة التي يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتشتيت شملهم وتمزيق وحدتهم .
- الدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم ويحل مشاكلهم .

ومن الوسائل التي تستخدمها الرابطة لتحقيق الأهداف

- العمل على تحكيم الشريعة في البلاد الإسلامية .

- الأخذ بمبدأ الشورى عن طريق مؤتمرات لكبار العلماء في العالم الإسلامي لتبادل وجهات النظر ، وتنسيق الجهود من أجل نشر الدعوة الإسلامية . - الاستفادة من موسم الحج عن طريق إقامة الندوات والمحاضرات . - دعم وتشجيع العلماء والدعاة في كافة أنحاء الأرض وتوزيع الكتب والمجلات الإسلامية مجانا .
- بعث عدد من الوفود إلى جميع أقطار العالم الإسلامي وللأقطار التي تتواجد فيها الأقليات الإسلامية لدراسة مشاكلهم والتعرف عليهم ومساعدتهم ودعمهم .
- دعم جميع المنظمات والمؤسسات الإسلامية التي لها صلة بالرابطة وتنسيق الجهود والعمل الإسلامي معها لخدمة الدعوة الإسلامية .
- العمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب الإسلامية .

وتقوم الرابطة بمهامها عن طريق عدد من الأجهزة ومن أهمها

1- المجلس التأسيسي ويتكون من 56 عضوا من العلماء وقادة الرأي والفكر في العالم الإسلامي ، ويجوز زيادة عددهم لاستكمال التمثيل الإسلامي . وهو الذي يرسم سياسة الرابطة ويحدد أهدافها واتجاهاتها
2- الأمانة العامة للرابطة : وهي السلطة التنفيذية للرابطة ومقرها الدائم مكة المكرمة ويعتبر الأمين العام هو المسئول عن تنفيذ القرارات والتوصيات

ويعتبر الأمين العام هو المسئول عن تنفيذ القرارات والتوصيات التي يصدرها المجلس التأسيسي في الداخل والخارج . ومن مهمة الأمانة النظر في أحوال المسلمين في كل مكان . وخاصة الأقليات الإسلامية في أماكن كثيرة من العالم وحماية الأقليات أولا ثم إعانتها ثم إرشادها إلى طريق الإسلام الصحيح .

3- الجهاد الإداري والمالي : وهو المسئول عن متابعة أعمال الرابطة ورفع التقارير عن سير تلك الأعمال إلى المجلس التأسيسي .

هذا وهناك مكاتب فرعية لرابطة العالم الإسلامي في مختلف دول العالم ، وهي معترف بها رسميا من قبل السلطات المحلية لتلك الدول ويتمتع العديد منها بالامتيازات والحصانات الدبلوماسية .

ومن أنشطة الرابطة :

بلغ عدد مكاتب الرابطة في جميع أنحاء العالم 25 مكتبا (عام 1405 هـ) تقوم بتنفيذ قرارات الرابطة في الوقوف على أحوال المسلمين وتعليمهم ودعم الجمعيات الإسلامية ، وتقديم المساعدات لها . كما بلغ عدد الدعاة التابعين للرابطة في العالم (عام 1405 هـ) 936 داعية .

موزعين كالتالى :

في أفريقيا 336 داعية . في أوربا وأمريكا 99 داعية .

في آسيا والمحيط الهادي 206 داعية . في اندونيسيا 295 داعية من مشروع الألف داعية . وأنشأت هيئة الإغاثة الإسلامية ومقرها جدة لتقديم المساعدات المالية والعينية للاجئين والمتضررين . وأقامت هذه الهيئة مجموعة كبيرة من المراكز الطبية في الصومال والنيجر والسودان وبنجلاديش والباكستان وغيرها .

وأقامت الرابطة مطبعة خاصة لنشر الفكر والوعي الديني وتم تزويدها بأحدث الآلات والمعدات ، ووزعت الملايين من المصاحف ومئات الآلاف من تراجم معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات السائدة في العالم . وأنشأت لذلك إدارة شئون وأبحاث القرآن الكريم وترجمة معانيه . وتقوم الأمانة العامة بتنفيذ مشروع لاختيار أحسن الترجمات لفظا وإظهارا لمعاني آيات القرآن الكريم وطبعها وتوزيعها . وقد تم طبع وترجمة معاني القرآن باللغة الفارسية ، وهناك تحت الطبع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الصينية واللغة الأوغندية . وهناك مشروع لطبع ترجمة معاني القرآن الكريم بالبرتغالية والفرنسية .

وتصدر الرابطة مجلتين شهريتين إحداهما بالعربية والأخرى بالانجليزية ، بالإضافة إلى جريدة أخبار العالم الإسلامي الأسبوعية ومجلة رسالة المسجد الفصلية ، وكتاب دعوة الحق الشهري . وتقوم الرابطة بتشجيع عدد من الصحف الإسلامية في مختلف أنحاء العالم .

وشكلت الرابطة المجلس الأعلى العالمي للمساجد بناء على قرار مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد بمكة عام 1395 هـ / 1975 م بدعوة من رابطة العالم الإسلامي (. وبلغ عدد أعضاء هذا المجلس 55 عضوا يمثلون مختلف الشعوب والأقليات الإسلامية في العالم .

ومن أهدافه :

- تكوين رأي عام إسلامي في مختلف القضايا والموضوعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة .- محاربة الغزو الفكري والسلوك المنحرف في حياة المسلمين .- بناء الشخصية الإسلامية فكرا وعقيدة وسلوكا .- العمل على حرية الدعاة إلى الله وأئمة المساجد والخطباء وحمايتهم من الاضطهاد .- حماية المساجد من كل اعتداء يقع عليها أو على ممتلكاتها .- الحفاظ على الأوقاف الإسلامية واسترجاع ما عطل أو صودر منها وتنميتها .- الدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية في مختلف أجزاء العالم .

وانبثقت عن المجلس الأعلى العالمي للمساجد : المجالس القارية : في آسيا والمحيط الهادي ومقره جاكارتا ، وفي أوربا ومقره في بروكسل ، وفي أمريكا وكندا ومقره في أوتاوا ، وفي أفريقيا وسيكون مقره في الخرطوم ، وذلك للربط بين المجلس الأعلى وكل مسجد في كل بقعة من بقاع الأرض . وانبثق أيضا عن المجلس الأعلى للمساجد (صندوق لإعانة المساجد) في جميع أنحاء العالم ميزانيته عشرون مليون ريالا تبرعت بها حكومة المملكة العربية السعودية .

وأسست الرابطة **المجمع الفقهي الإسلامي** بتوجيه من المجلس التأسيسي للرابطة يضم جماعة من العلماء والفقهاء يتولون دراسة واقع الأمة الإسلامية والمشكلات التي تواجهها وإيجاد الحلول الصحيحة على أساس المصادر المعتمدة في الفقه الإسلامي .

وقد انبثقت من مجلس المجمع الفقهي عدة لجان هي :

لجنة المصطلحات الفقهية - لجنة التراث الفقهي - لجنة البحث العلمي

لجنة الصياغة - لجنة الدراسات المعاصرة - لجنة المكافآت .

وفي مجال التربية والعلوم والثقافة :

- قررت منظمة المؤتمر الإسلامي عام 1982 م تنفيذاً لتوجيهات قادة الدول الإسلامية إنشاء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) ومقرها الرباط في المغرب ، وقرروا أن يكون للمنظمة وكالة متخصصة تعمل في ميادين العلوم والثقافة ذات استقلال ذاتي في شئونها التنظيمية والمالية ، ولها أجهزتها الخاصة بها وهي :

- المؤتمر العام وهو الهيئة العليا بالمنظمة ويضم وزراء الثقافة والعلوم .- المكتب التنفيذي ويتكون من 9 دول وثلاث شخصيات إسلامية .- الإدارة العامة وعلى رأسها مدير عام منتخب من المؤتمر العام .

- وكانت قد برزت هذه الفكرة – فكرة إنشاء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم بعد حرق المسجد الأقصى إلى أن ظهرت بالفعل بعد ثلاثة عشر عاما .

ومن أهدافها :

- توثيق روابط الأخوة بين الأعضاء .

- حماية الهوية الإسلامية وتركيز هذه الهوية وبخاصة في الدول غير الأعضاء أو التي يقل فيها عدد المسلمين .- الدفاع عن الإسلام وتقديمه بصورته الصحيحة .- العمل على جعل الثقافة الإسلامية محور تعليم الدول الإسلامية .- بالإضافة إلى محاربة الأمية لدى الكبار في القرى الإسلامية . وبدأت بالفعل بماليزيا وسيراليون .

- العمل على تطوير الطرق التربوية في المدارس القرآنية . وبدأت بالفعل في السنغال .

- تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لتعلم الدين وتصحيحه

مواجهة المسلمين للتحديات الاقتصادية :

تقوم قوى الأمم في هذا العصر على الاقتصاد ، فأمريكا تقوم قوتها الهائلة على الاقتصاد الأمريكي الذي هو أداة من أدوات الحرب بل هو أقوى عدة . وقد تكالبت القوى وتحركت المطامع نحو ثروة البلاد الإسلامية ، للوصول إليها ، أو الاحتفاظ بها . وبسبب تفرق المسلمين وتخلفهم وغيبة النظام الاقتصادي الإسلامي أصبحت ثروة بلادهم بيد أعدائهم يتنافسون عليها . ووجدوا أنفسهم بعد استقلال بلادهم شفعاء أمام التكتلات الاقتصادية العالمية الهائلة وفي تبعية اقتصادية كاملة لهذه التكتلات . فحاولت البلاد العربية إنشاء سوق عربية مشتركة لمقابلة الاحتكارات الأجنبية والوقوف ضد التكتلات الاقتصادية الغربية ، ووضح حد للمنافسة في إنتاج البلاد العربية بين الأقطار العربية ، وبدأت الفكرة سنة 1956 م بتشكيل لجنة من الخبراء العرب لوضع مشروع الوحدة الاقتصادية .

ومر هذا التاريخ دون تحقيق شيء . كما واجه مشروع السوق الإسلامية المشتركة المصير نفسه وكذلك مشروع الدينار الإسلامي وذلك نظرا لاختلاف الأنظمة في الأقطار الإسلامية والعربية فلا يمكن تنفيذ مثل هذا السوق ، فدول تتبع النظام الاقتصادي الحر ودول أخرى تتبع النظام الاقتصادي الاشتراكي وهذا يؤدي :

1- إن التنافس في السوق الواحدة بين إنتاج المزارع والمعامل المؤممة وبين إنتاج المزارع والمعامل الحرة لن يكون تنافسا عادلا ، لأن الإنتاج المؤمم لا يخضع في أسعاره للعوامل الاقتصادية بل تتحمل الدولة أكلافه في كثير من الأحيان من موازنتها العامة ، وتستطيع أن تغرق الأسواق بخلاف الاقتصاد الحر الذي لا يستطيع منافسة ذلك .
2- إن حرية تنقل الأموال وحرية العمل وممارسة النشاطات الاقتصادية في الدول الاشتراكية تبقى وهما لا يستفيد منه رعايا الدول الأخرى الموقعة على الميثاق لأن هذه الحريات محظورة على رعايا الدولة الاشتراكية نفسها .
3- إن التبعية الاقتصادية وارتباط عملة كل قطر إسلامي بعملة دولة أخرى من الدول الكبرى يجعل قيام مثل هذه السوق وتوحيد الدينار صعب المنال والتحقيق .

وعلى ذلك فمن أجل التعاون الاقتصادي التام بين أقطار المسلمين يجب توحيد الأنظمة أولا ، والعامل المشترك بين جميع هذه الأفكار هو الإسلام فبالإتجاه إلى النظام الاقتصادي الإسلامي يسهل عمليات التكامل وقيام مثل هذه السوق المشتركة . فالاتحاد الجمركي – الزلفرين – الألماني الذي كان مقدمة الإتحاد الألماني تم بين ولايات تتشابه أنظمتها الاقتصادية ، وكذلك السوق الأوروبية المشتركة والسوق اللاتينية المشتركة . وأمام التحديات الحاضرة للعالم الإسلامي من : أطماع الكتلتين الكبيرتين على السيطرة على البلاد الإسلامية خاصة الدول البترولية منها. وخطر الصهيونية وغزو الاتحاد السوفييتي لبعض البلدان الإسلامية

وقد تعاظمت التحديات الاقتصادية على منطقة الخليج العربي بشكل خاص لحاجة العالم الصناعي للنفط ، فظهر مجلس التعاون لدول الخليج سنة 1401 هـ / 1981 م وقد نجح هذا المجلس بسبب الروح الإسلامية التي تجمع بين هذه الدول ، ويعتبر مثلا الواجب على بلاد المسلمين أن تحتذيه وتطوره للتغلب على الأخطار التي تواجه هذا العالم الإسلامي الغني في خيراته وإمكانياته ، الجائع على أرضه ، المسلوب الإرادة والتحكم في ثرواته . وهذه فكرة عن مجلس التعاون لدول الخليج .

مجلس التعاون لدول الخليج العربية :

وجدت هذه الدول التحديات التي تواجه هذه المنطقة تتعاظم بتعاظم حاجة العالم الصناعي للنفط ، ولذا فاندماجها هو العامل الحاسم نحو توجه جديد لصياغة سياسية .

اقتصادية واجتماعية تبعد المنطقة عن التنافس الدولي ويكسبها قوة تفاوضية كبيرة ومقدرة على اتخاذ القرار لصالحها وتمكينها من حمايته .

فقد قررت دولة الإمارات العربية ودولة البحرين والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ودولة قطر ودولة الكويت إقامة تنظيم يهدف إلى تعميق وتوثيق الروابط والصلات والتعاون بين أعضائها في مختلف المجالات يطلق عليها اسم مجلس التعاون لدول الخليج العربية – ليكون هذا المجلس الوسيلة لتحقيق أكبر قدر من التنسيق والتكامل في جميع الميادين ويعتبر دعما لأهداف جامعة الدول العربية وخدمة للقضايا العربية والإسلامية .

ومن أهداف المجلس

1- تعميق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء في جميع الميادين وصولا إلى وحدتها .
2- تعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها في مختلف المجالات .
3- وضع أنظمة متماثلة في مختلف الميادين بما في ذلك الشئون الآتية :
أ- الشئون الاقتصادية والمالية . ب- الشئون التجارية والجمارك والمواصلات .
ج- الشئون التعليمية والثقافية . د- الشئون الاجتماعية والصحية .
هـ- الشئون الإعلامية والسياحية . و- الشئون التشريعية والإدارية .
4- دفع عجلة التقدم العلمي والتقني في مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروات المائية والحيوانية وانشاء مراكز بحوث علمية وإقامة مشاريع مشتركة وتشجيع تعاون القطاع الخاص بما يعود بالخير على شعوبها .

وأما أجهزة مجلس التعاون فهي :

أولا : المجلس الأعلى : وهو السلطة العليا للمجلس يتكون من رؤساء الدول الأعضاء وتكون رئاسته دورية حسب الترتيب الهجائي لأسماء الدول .

واختصاصاته :

1- النظر في القضايا التي تهم الدول الأعضاء .
2- وضع السياسة العليا لمجلس التعاون والخطوط الأساسية التي يسير عليها
3- النظر في التوصيات والتقارير والدراسات والمشاريع التي تعرض عليه من قبل المجلس الوزاري لاعتمادها – أو التي يكلف الأمين العام بإعدادها .
4- إقرار نظام هيئة تسوية المنازعات وتسمية أعضائها – وتعيين الأمين العام .
5- التصديق على ميزانية الأمانة العامة .

ثانيا : المجلس الوزاري : ويتكون من وزراء الخارجية للدول الأعضاء أو من ينوب عنهم من الوزراء وتكون رئاسته دورية لمدة ستة أشهر ويعقد اجتماعاته مرة كل ثلاثة أشهر ويجوز له عقد دورات استثنائية بناء على دعوة أي عضو من الأعضاء وتأييد عضو آخر .

ثالثا : اللجان والاجتماعات الوزارية والمتخصصة : للعمل على تنفيذ سياسات المجلس ووضع الإجراءات التفصيلية لذلك . وتتنوع هذه اللجان بحسب طبيعة المهام الموكلة إليها وتأخذ تبعا لذلك صفة الدورية أو الوقتية حسب ما يقرر كل اجتماع أو لجنة وزارية . وقد بلغت هذه اللجان عام 1405 هـ / 1985 م 24 لجنة كما يجري التحضير للجان أخرى في مجالات أخرى .

رابعا : الأمانة العامة : تتكون من أمين عام يعاونه أمناء مساعدون وما تستدعيه الحاجة من موظفين ويعين الأمين العام لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة أخرى ويكون مسئولا مباشرة عن أعمال الأمانة العامة ويمثل مجلس التعاون لدى الغير في حدود الصلاحيات المخولة له . وتعتبر الأمانة العامة الأداة الأساسية لتقديم مقترحات الجهات المسئولة للسياسات والخطط والبرامج المؤدية إلى تحقيق أهداف المجلس – فتتولى :

1- إعداد مشروع إستراتيجية العمل الخليجي المشترك في المجالات المختلفة .
2- إعداد الدراسات والبحوث التي تتطلبها أعمال الأجهزة الرئيسية للمجلس .
3- وضع الخطط والبرامج والمشروعات الكفيلة بتحقيق إستراتيجية العمل الخليجي المشترك .
4- التنسيق مع المنظمات الدولية والإقليمية والعربية العاملة في مجال تخصصها .
5- القيام بأعباء السكرتارية الفنية للجان الوزارية واللجان المختلفة في مجال عملها .
6- تنظيم اللقاءات والندوات المتصلة بشئون تخصصها والاشتراك في المؤتمرات والاجتماعات المتعلقة بشئون عملها
7- إعداد تقارير دورية من النشاطات والإنجازات .

وتضم الأمانة العامة القطاعات التالية :

مكتب الأمين العام – وقطاع الشئون السياسية – وقطاع الشئون الاقتصادية – وقطاع شئون الإنسان والبيئة – وقطاع الشئون القانونية – وقكاع الشئون المالية والإدارية ومركز المعلومات .

ومن أهم منجزات المجلس الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون لتنمية وتوسيع وتدعيم الروابط الاقتصادية فيما بينها على أسس متينة لما فيه خير شعوبها ومن أجل العمل على تنسيق وتوحيد سياستها الاقتصادية والمالية النقدية .

وقد شجعت هذه التجربة الناجحة لمجلس التعاون الخليجي أقطار المغرب العربي ، على التفكير الجدي في إنشاء مجلس تعاون مغربي عربي مشابه ، فعقد رؤساء المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا وموريتانيا ، اجتماع قمة يوم 10 / 6 / 1988 م لهذا الغرض . وكونوا لجانا فنية تجتمع دوريا لصياغة الترتيبات المؤسسة لهذا المجلس المرتقب .

المحاضرة التاسعة

قضايا معاصرة (قضية فلسطين)

الموقع والمساحة :

تقع فلسطين في غرب قارة آسيا ، وهي تطل على البحر الأبيض المتوسط ، ويحدها شمالا لبنان وجنوبا خليج العقبة ، وفي جنوبها الغربي تقع مصر ، كما يحدها شرقا سوريا والأردن وغربا البحر المتوسط ، فهي تحتل موقع القلب من العالم الإسلامي ، وهي صلة الوصل بين شقي العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا ، وهي الطريق الطبيعي الذي يصل البحر المتوسط بالسهول الداخلية وصحاري شبه الجزيرة العربية إذ تكون الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام .

مساحتها حوالي 270000 كم2 بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزه .

وتنقسم فلسطين إلى المناطق الطبيعية التالية :

1- **السهول الساحلية : ولفلسطين** ساحل طويل يمتد من رأس الناقورة في الشمال إلى رفح في الجنوب ، ويلي الشاطئ سهل يسمى : السهل الساحلي الفلسطيني يتراوح عرضه بين 18 و 16 كم ، تزرع فيه الفواكه والحمضيات والخضر ، ومن مدن الساحل : عكا وحيفا ويافا وغزة وكلها موانئ مهمة ، وقد بنى اليهود مدينة تل أبيب التي جعلوها عاصمة مؤقتة لهم شمالي مدينة يافا . وفي داخل السهل مدن : طولكرم والرملة واللد وخان يونس والمجدل .

2- **الجبال والهضاب :** ويلي السهل الساحلي إلى جهة الشرق الجبال التالية :

أ- جبال الجليل : وفيها مدينة صفد أعلى مدن فلسطين . ومدينة الناصرة التي نشأ فيها المسيح عليه السلام وقضى معظم حياته فيها .

ب- جبال نابلس : وفيها مدينة نابلس بين جبلي جرزيم وعيبال .

ج- جبل الكرمل : ويتجه إلى الشمال الغربي من جبال نابلس وينتهي على شاطئ البحر عند حيفا .

د- جبال القدس : وأعلاها جبل الطور وفيها مدينة بيت المقدس – القدس – أهم مدن فلسطين والتي فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وقد بنى اليهود بجوارها مدينة القدس الجديدة ونقلوا إليها عاصمتهم من تل أبيب بعد احتلال القدس القديمة عام 1387 هـ / 1967 م .

هـ- جبال الخليل : وفيها مدينة خليل الرحمن ويقال أن فيها قبره عليه السلام . و- هضبة النقب : وهي القسم الجنوبي من فلسطين ، تشكل مثلثا يقع رأسه على خليج العقبة ويحتل جميع الأراضي الواقعة بين غزة والخليل وشبه جزيرة سيناء والأردن وجنوب البحر الميت ، وتقدر مساحة النقب بنصف مساحة فلسطين تقريبا ، ومن أهم مدنه بئر السبع .

3- **منطقة الأغوار :** وهي المنطقة الشرقية من فلسطين ، يخترقها نهر الأردن مع بحيراته الحولة وطبرية ، بحيرة لوط (البحر الميت) وهي جزء من حفرة الانهدام الآسيوي الأفريقي الذي يمتد من جبال طوروس شمال سوريا إلى خليج العقبة والبحر الأحمر وأفريقيا الشرقية حتى هضبة البحيرات الكبرى . ينبع نهر الأردن من جبل الشيخ وتتحد فروعه فيمر في بحيرة الحولة ثم في بحيرة طبرية ثم ينتهي في البحر الميت بطول 225 كم .

وأشهر الأغوار : غور طبرية وبيسان في الشمال ، وغور أريحا في الجنوب وتمثل مدينة أريحا والبحر الميت أخفض بقعة على سطح الأرض ، إذ يبلغ الانخفاض 492 مترا عن سطح البحر . ومدينة أريحا شمال البحر الميت يقال إنها

أقدم مدن العالم وفيها قصر هشام بن عبد الملك وهي مشتى جميل . أما الجزء الممتد من البحر الميت إلى خليج العقبة فيسمى وادي عربه بطول 180 كم .

فلسطين في التاريخ

- كانت شبه الجزيرة العربية الشريان الذي يمد البلاد المجاورة لها العراق والشام ومصر بدماء جديدة ، فقد خرجت منها موجات بشرية : الأشورية والأكادية إلى العراق ، والأمورية والآرامية والكنعانية إلى الشام ، وتوجهت قبائل أمورية إلى بلاد ما بين النهرين (العراق) وأسست مدينة بابل وهي الأسرة البابلية ، كما خرجت قبيلة آرامية من بلاد الشام إلى جنوب العراق والخليج العربي وهي قبيلة كلدى التي أقامت الدولة الكلدانية وجددت بابل . وقد سكن الكنعانيون ساحل بلاد الشام في الألف الثالث قبل المسلاد ، وأطلق عليهم في الساحل الشمالي اسم : الفينيقيين . في حين أطلق على القسم الجنوبي أرض كنعان .واهتمم الكنعانيون بالزراعة فدعيت بلادهم الأرض التي تدر لبنا وعسلا .

- وبنوا المدن ومنها : أريحا ، وأسدود ، وبير السبع ، وعسقلان ، وغزة ، ويافا ، ومجدو ، وسبسطية (السامرة) ، وبيسان ، ونابلس (شكيم) والخليل (أربع) والقدس (بيوس) وكان اليبوسيون أهم بطون الكنعانيين فبنوا مدينة القدس وأطلقوا عليها أورسالم أي مدينة سالم ، كما أطلقوا عليها اسم يبوس . وكانت اللغة كنعانية- عربية قديمة – وهي لا ريب تختلف عن لغة القرآن الكريم التي نتحدث ونكتب بها اليوم – لقدمها ورغم ذلك فإن هنالك شبها بينها وبين اللغة العربية الحديثة . وأسماء المدن والقرى كانت وما تزال كنعانية ، وأما محاولة اليهود اليوم نسبة بعضها إليهم فهي من قبيل الإدعاء الزائف ، تهدف إلى إيهام الرأي العام اليهودي بأن اليهود جنس قام بتأسيس هذه المدن والقرى ، وهم أهلها الذين تشردوا عنها ، لتتمسك بها الأجيال اليهودية ، وإيهام الرأي العام العالمي بأن البلاد يهودية الأصل . وقد نجح اليهود في ذلك إلى حد كبير في غياب الوعي التاريخي لدى المسلمين .

الغزوات العابرة لأرض كنعان :

أولا : العبرانيون :

- في بداية الألف الثاني ق. م انتقل إبراهيم عليه السلام من (أور) بالعراق فعبر نهر الفرات إلى حلب ، ومنها إلى أرض كنعان ، ثم هاجر إلى مصر ومعه زوجته (ساره) التي أهدى إليها فرعون مصر جارية تسمى (هاجر) فتزوجها إبراهيم عليه السلام ، لأن سارة كانت لا تنجب ، فأنجب من هاجر إسماعيل عليه السلام الجد الأعلى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وقد أنجبت سارة بعد ذلك إسحاق الذي أنجب بدوره يعقوب المسمى بإسرائيل . وأنجب يعقوب الأسباط الذين تركوا أرض كنعان لما أصابها القحط وأقاموا في مصر حينما صار يوسف عليه السلام على خزائن أرضها ، وتكاثر بنو إسرائيل في مصر ، وتعرضوا لأذى فرعون فنجاهم الله منه ،

- وخرجوا مع موسى عليه السلام قاصدين الأرض المقدسة ولكنهم نقضوا العهد وفسقوا فضرب عليهم الله سبحانه التيه أربعين سنة في سيناء ، خرجوا بعدها إلى أرض كنعان فدخلوها من جهة الشرق حوالي عام 1189 ق. م بقيادة يوشع بن نون بعد وفاة موسى عليه السلام ، واستطاعوا احتلال بعض الأماكن من أرض كنعان وعاشوا فيها أسباطا متفرقين .تولى القضاة أمور العبرانيين بعد وفاة يوشع وفي عهدهم اختلط العبرانيون بالكنعانيين فتلعموا لغتهم وتعلموا الزراعة وسكنى المدن وعبدوا آلهتهم ، منحرفين عن التوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام . ثم اتحد العبرانيون وكونوا دولة حوالي عام 1025 ق. م ، وكان أول ملوكهم شاؤول أو طالوت .

واشتهر من ملوكهم :

أ- داود عليه السلام (1000 – 960 ق. م) الذي ملك يبوس (القدس) من اليبوسيين وجعلها عاصمة له ، وانتصر على الفلسطينيين وقتل ملكهم جالوت وأنهى أمرهم .

ب- سليمان عليه السلام (960 – 930 ق. م) الذي وردت قصته في سورة النمل وتعدت دعوته إلى الإسلام حدود الشام فامتدت إلى اليمن . وأوتي النبوة مع الملك . وقد شوه اليهود صورته في كتبهم كعادتهم مع الأنبياء والرسل الكرام ، عليهم السلام .

وبعد وفاة سليمان عليه السلام انقسمت مملكة العبرانيين إلى قسمين :

أ- مملكة الشمال – إسرائيل – وعاصمتها السامرة .

ب- مملكة الجنوب – يهوذا – وعاصمتها القدس .

- وكانت علاقتهما عدائية وتقلصت كل منهما إلى أن قضى على الدولة الشمالية الأشوريون بقيادة (سرجون الثاني) عام 722 ق. م ، وقضى على المملكة الجنوبية (نبوخذ نصر) الكلداني عام 586 ق. م وأحرق القدس وهدم هيكل سليمان وسبى العبرانيين إلى بابل .

- وبذلك زالت دولة العبرانيين من الوجود وعادت أرض كنعان عربية ، وفي بابل وضع أحبار العبرانيين المشنا والجمارا لشرح التوراة ، فكانت أصول الديانة اليهودية التلمودية المحرفة المتعصبة البعيدة كل البعد عن شريعة موسى عليه السلام . ويهود اليوم لا ينتمون في أكثرهم إلى الأصول السامية ، أو العبرانية ، فإن 90 % على الأقل ينتمي إلى أصول خزرية . فهم : اشكنازيم (سكناج) وهم يهود أوربا الشرقية ، وسفارديم وهم يهود آسيا وأفريقيا والأندلس وكان الاشكنازيم قديما محتقرين ، أما اليوم فالأمر بأيديهم ومنهم غلاة الصهيونية ، ويكون السفارديم 55 % من يهود فلسطين المحتلة ، إلا أنهم محتقرون ، ومبعدون عن مراكز الدول الحساسة . فالكنيست اليهودي مثلا يتكون من (120) نائبا لا ينال للسفارديم منه سوى (18) نائبا ، ولغة الاشكناز تسمى (اليديش) وهي لغة ألمانية الأصل مطعمة ببعض الكلمات العبرية وتكتب بالحروف العبرية .

- وكانت العبرية قد بقيت إلى جانب اليديش لغة كتابة وليست لغة تخاطب بين يهود شرق أوربا ، إلى أن وضع الحاخام (بن يهوذا) عام 1911 م لغة عبرية حديثة هي لغة اليهود اليوم ، وذلك بناء على قرار اتخذه مؤتمر (بازل) الصهيوني الأول بإحياء اللغة العبرية .

ثانيا : الفلسطينيون :

- تعرضت بلاد اليونان وجزر بحر إيجة لغارات البرابرة اليونان فهربت قبيلة (بلست) من جزيرة كريت وغزت أرض كنعان واستقرت في السهل الجنوبي الغربي من يافا إلى غزة . وسمي هذا الجزء باسمهم : فلسطين . وقامت بينهم وبين العبرانيين معارك طويلة انتهت بانتصار العبرانيين ، بعد أن قتل داود جالوت كما ورد في القرآن الكريم ، وانتهى بذلك دور الفلسطينيين من التاريخ نهائيا ولكن بقي الاسم على جزء من أرض كنعان إلى أن شملها كلها في العصور الحديثة

ثالثا : الفرس :

استطاع كورش الفارسي (558 – 528 ق. م) احتلال بلاد الشام وضمها إلى دولته – فارس – عام 538 ق. م وكانت زوجته (استير) اليهودية ، فقدم له اليهود مساعدات في فتحه بابل والشام ومصر ، فسمح لمن يريد العودة من بني إسرائيل إلى أرض كنعان . . . وانتهى الاحتلال الفارسي عام 332 ق. م

رابعا : اليونان :

قام الاسكندر المقدوني الكبير بالاستيلاء على بلاد الشام عام 332 ق. م وطرد الفرس . ولما قام النزاع بين قادته بعد وفاته : أنتيغونس الكبير وسلوقس وبطليموس – أصبحت أرض كنعان مسرحا لنزاع البطالسة في مصر والسلوقيين في الشام . وقد حاول اليونانيون نشر الحضارة اليونانية (الهيلينيه) في أرض الشام .

خامسا : الرومان :

- استطاع القائد الروماني بومبي أن ينهي احتلال اليونان لبلاد الشام عام 63 ق. م وبقي الرومان يحكمونها إلى أن أنقذها الإسلام عام 636 ب. م ويهمنا من زمن الرومان أمور منها :

1- ظهور المسيح عليه السلام في أرض كنعان زمن الامبراطور (أغسطس قيصر) – مهد المسيحية وقلبها 0 حيث تحولت فيما بعد إلى النصرانية بعد أن اعتنق قسطنطين النصرانية واتخذها الدين الرسمي للرومان في مؤتمر نيقية عام 325 م حيث انحرفت من الوحدانية إلى التثليث . عندما وضع بولس (شاول) أفكاره المتأثرة بالفلسفة اليونانية ، - وقوف اليهود ضد المسيحية مع الوثنية الرومانية . ثم حاولوا الثورة على الرومان عام 70 م فقاد القائد الروماني تيطس حملة دخلت القدس وأعمل فيها النهب والحرق والقتل ، وشرد اليهود في أجزاء الأرض .

- وحاول اليهود الانتفاضة مرة أخرى عام 135 م زمن الإمبراطور هادريان فقاد حملة بنفسه وقضى على وجود اليهود نهائيا في فلسطين ومنعهم من دخول القدس ودعاها ايلياء كابيتولينا) . وتعتبر هذه السنة نهاية للوجود اليهودي في أرض كنعان ففيها انتهت علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا وبقيت محرمة على اليهود حتى الفتح الإسلامي أي خمسة قرون .

الفتح الإسلامي لفلسطين :

- ظهرت أهمية القدس في الإسلام عندما أسري بالرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء جسدا وروحا ، فارتبطت هذه الأرض ارتباطا كاملا بالكعبة وبالمسجد النبوي في المدينة .

- والإسلام هو خاتمة الرسالات السماوية فهو الوريث لأرض الأنبياء والمرسلين ، كما كانت القدس قبلة الإسلام الأولى ، والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله تشد إليه الرحال ، كما تشتد إلى الحرمين الشريفين مكة والمدينة فقد ورد في الصحيحين :

- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى " .

- وقد بدأت غزوات وسرايا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أرض الشام ، فكانت غزوة دومة الجندل عام 5 هـ ، وسرية مؤتة عام 7 هـ ، وغزوة تبوك عام 9 هـ ، ثم أخيرا بعث أسامة الذي أنفذه أبو بكر رضي الله عنه . وبعد القضاء على حركة الردة جهز أبو بكر الجيوش وأنفذها لفتح الشام ، وكان قائد جبهة فلسطين عمرو بن العاص وشهدت هذه الأرض المعارك الحاسمة أجنادين وفحل واليرموك .

- ثم تم فتح بيت المقدس ، وتسلمها الخليفة عمر بن الخطاب ينفسه من صفرونيوس بطريرك القدس عام 16 هـ وصدرت العهدة العمرية ونص فيها على أن لا يسكن إيلياء أحد من اليهود . فأصبحت بلاد الشام بما فيها أرض كنعان أرضا عربية إسلامية ، واستمرت على هذا الحال دون انقطاع إلا فترة الحروب الصليبية حيث استطاع الصليبيون أن يقيموا مملكة نصرانية في بيت المقدس في القرن السادس الهجري بعد أن قتلوا سبعين ألفا من المسلمين داخلها . ولكن المجاهد صلاح الدين الأيوبي أجلاهم عنها في 27 رجب عام 583 هـ بعد أن انتصر عليهم في موقعة حطين الشهيرة قرب بحيرة طبرية في 25 ربيع الثاني عام 583 هـ ، وانتهى دور الصليبيين كما بينا ذلك ، فكانوا من الغزوات العابرة ، ولن يكون حظ الصهيونية اليهودية الحديثة بمساعدة الغرب الصليبي والشيوعي أفضل من مصير الصليبيين بإذن الله

فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار

- تعود الجذور التاريخية للحركة الصهيونية إلى القرن التاسع عشر حين اقترن النشاط الاستعماري الواسع بضغط هائل على الطبقات الوسطى في البلدان الاستعمارية ، مما دفع الطبقات اليهودية إلى البحث عن حل لأزمتها خارج حدود مجتمعاتها ، وسرعان ما وجدت الحل في الفكرة الصهيونية التي تطابق فيها الحل مع المصالح الاستعمارية ، كما لقيت الصهيونية تأييدا وتشجيعا من الرأسماليين اليهود الكبار .

- كانت الدول الأوربية قد فرضت على الدولة العثمانية الضعيفة ما عرف باسم : الإمتيازات الأجنبية التي كانت منحة أيام قوة الدولة ثم أصبحت غلا يطوقها في ضعفها ، بحيث بات المقيمون الأجانب دولة داخل دولة ، لا تسري عليهم القوانين والضرائب العثمانية .

- واستتبع ذلك إقدام هذه الدولة على الالتزام بسياسة ثابتة هدفها الحفاظ على المصالح التجارية في المنطقة تحت ستار حماية الأقليات الدينية ، ففرضت فرنسا حمايتها على النصارى الكاثوليك ، وروسيا على النصارى الأرثوذكس ، وأعلنت بريطانيا حمايتها للدروز والبروتسنت واليهود في سوريا وجبل لبنان وفلسطين .

- وكان من جراء ذلك أن أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس عام 1255 هـ / 1839 م وجهت معظم جهودها ونشاطها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين . فكانت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس والواقع أن القضية تخطت مسألة حماية اليهود في فلسطين إلى تحقيق أهدافها في الشرق التي يمكن تلخيصها في :

1- تأمين المواصلات البريطانية إلى الهند والشرق الأقصى .
2- إبعاد أية قوة كبرى عن هذه المنطقة وجعلها مجالا بريطانيا بحتا .
3- منع ظهور أي قوة كبيرة محلية وضربها إذا ما ظهرت .
4- الحرص البريطاني على استمرار الملاحة في قناة السويس بعد فتحها في عام 1869 م انطلاقا من حرصها على تأمين المواصلات إلى الهند والشرق الأقصى .
5- تأمين الإمداد النفطي والحصول على أكبر قدر من الأرباح منذ اكتشافه في أوائل القرن العشرين من المنطقة . وقد رافق تأمين هذه الأهداف رغبة بريطانيا في استقرار المنطقة إما بالتعاون مع أهلها إن أمكن ذلك ، أو إخضاعهم وجعلهم عاجزين عن مقاومة وجودها بالقوة أحيانا ، وبوسائل غيرها أحيانا ، وذلك حسب الظروف التي تواجهها المنطقة

فالجالية اليهودية كانت صغيرة جدا لا تتجاوز تسعة آلاف وسبعمائة نسمة موزعين بين القدس والجليل وصفد وطبريا حسب تقرير نائب القنصل البريطاني نفسه . وكان الهدف استقدام جاليات يهودية لأسباب ودوافع استعمارية بينها بوضوح الفايكونت (بالمرستون) رئيس وزراء بريطانيا في رسالة بعث بها إلى سفيره في استنبول يوم 11 أغسطس 1840 م يشرح فيها المنافع السياسية والمادية التي تعود على السلطان العثماني من جراء تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين يقول : (" إن دعوة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان تحت حمايته تشكل سدا في وجه مخططات شريرة يعدها محمد علي أو من يخلفه ") بل حاول بالمرستون إغراء السلطان العثماني عبد المجيد قبول الفكرة .

ولم تكن أفكار بالمرستون في هذا الصدد خاصة إذ تبناها بعده أبرز رجال السياسة الاستعمارية البريطانية من أمثال (شافتر بري) و (ديزرائيلي) و (جوزيف تشمبر لن) و (تشرشل) و (بلفور) وغيرهم . ولا شك بأن شق قناة السويس واحتلال بريطانيا لمصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان له أعمق الأثر في تفكير الساسة الانجليز الاستراتيجي بالنسبة لأهمية فلسطين وضرورة السيطرة عليها وبالتالي إلى تزايد الحماس لفكرة إقامة مستعمرة يهودية تحت الحماية البريطانية في فلسطين . ولقد سبقت مبادرة بالمرستون في تشجيع فكرة الاستيطان

اليهودي ظهور الحركة الصهيونية ، بل سبقت ظهور كتابات رواد الفكر الصهيوني أنفسهم ، ومن المحتمل أنه تأثر بمحاولة نابليون استغلال عطف اليهود في العالم عند حصاره لعكا 1214 هـ / 1799 م .

و قد مرت الهجمة الصهيونية في مراحل هي :

أولا : مرحلة التسلل اليهودي إلى فلسطين : 1287 – 1315 هـ / 1870 – 1897 م :

- ظهرت في هذه الفترة محاولات فردية ممثلة شخصيات سياسية بارزة ، أو منظمات متناثرة في مناطق شتى من العالم ، تنادي بعودة اليهود إلى فلسطين خلاصا من الظلم الذي تعرض له اليهود في العالم ، وخاصة في أوربا بعد سيطرة الروح القومية فيها . ومن أشهر هذه الدعوات دعوة (ليون بينسكر) (1821 – 1891 م) في كتابه التحرير الذاتي : فقد قال : " إن اليهود ليسوا أمة حية بل هم غرباء في كل مكان ، وأن التحرير المدني والسياسي لليهود غير كافيين لرفعتهم في نظر الشعوب ، والعلاج الوحيد للمشكلة اليهودية يكمن في تدويلها ، وخلق قومية يهودية لشعب يعيش على أرض خاصة به " .
- ولم يشترط أن تكون فلسطين مركزا لتجمع اليهود .
- وقد روجت لآرائه أحباء صهيون ، التي انتشرت في روسيا في أعقاب عام 1300 هـ / 1882 م وشارك بينسكر في جهودها . وكان للبارون (إدموند دي روتشيلد) جهود كبيرة في سبيل مساندة الصهيونية ، فأنشأت عام 1301 هـ / 1883 م الجمعية اليهودية للاستعمار بفلسطين أو – بيكا –بغرض تنظيم عملية تملك اليهود للأراضي في فلسطين أو استيطانهم لها . وكانت (بيكا) تبيع الأراضي لليهود شريطة ألا تباع مرة ثانية للمسلمين . وتحت ستار التابعية العثمانية بدأ هذا التسلل اليهودي إلى فلسطين ومع هجرات كثير من المسلمين من اضطهاد روسيا القيصرية .

- وفي عام 1895 م / 1313 هـ أصدر اليهودي النمساوي هيرتسل كتابا بعنوان : الدولة اليهودية ، قرر فيه :

- " إن المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية بل هي مسألة قومية لا يمكن حلها إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة . ويعني هذا بالتحديد أن يمنح اليهود السيادة فوق رقعة من الأرض كافة لتلبية متطلبات إقامة دولة قومية على أن يترك الباقي لليهود أنفسهم " .
- ولكي يحقق اليهود هدفهم إقترح هيرتسل إنشاء جمعية يهودية تقوم بتنظيم اليهود وتعبئتهم ، وشركة يهودية على غرار الشركات الاستعمارية الكبرى في المستعمرات الأوربية في آسيا وأفريقيا ، تقوم بتوطين المستعمرين واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها .
- وكان صدور هذا الكتاب بمثابة نقطة تحول في الحركة الصهيونية فقد اعتبرت المشكلة اليهودية مشكلة قومية ، وحلها يكمن في تحويلها إلى قضية عالمية تفرض على مجالس الأمم المتحضرة حيث ينادى زعماء اليهود بتكوين دولة يهودية . ولم يعلن هيرتسل في كتابه عن اختياره النهائي للدولة المقترحة .
- وتمكنت الصهيونية في هذه الأثناء من استمالة الأوربيين لأفكارها : فالمتدين النصراني الأوربي دخلت إلى نفسه فكرة شعب الله المختار وأرض الميعاد وهو يؤمن كنصراني بالعهد القديم ، وأما غير المتدين فرغب أن يتخلص من استغلال اليهود وجشعهم ومكرهم عن طريق تأييد الصهيونية في البحث عن أرض يجتمعون فيها ، فتستريح أوربا منهم . أنظر إلى قول وزير خارجية قيصر وروسيا ، وهيرتسل يحدثه ويطلب منه تشجيع الهجرة : " إننا نعطي مثل هذا التشجيع على الهجرة بأن نركلهم بأقدامنا "
- وأما الحكومات الاستعمارية فقد أيدت الصهيونية عن طريق استعداد الأخيرة لتكون خادمة للاستعمار وعن طريق المساعدات والقروض المالية للحكومات الاستعمارية التي قامت بها البيوتات المالية اليهودية الكبيرة .
- فأقام اليهود المتسللون عددا من المستوطنات في فلسطين ، ومنها تل أبيب .

المحاضرة العاشرة

مرحلة وضوح الهدف الصهيوني 1315-1333هـ 1897-1914م

بدأت هذه المرحلة بمؤتمر بازل (بال) بسويسرا عام 1315 هـ / 1897 م ، وهو المؤتمر الصهيوني الأول الذي نجح هيرتسل في عقده ، وضم 204 مندوبين يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في أرجاء مختلفة من العالم . وقد حدد المؤتمر أهداف الصهيونية بما يلي:

" إن غاية الصهيونية هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام " وقد ووفق على برنامج هذا المؤتمر . ومن الممكن تلخيص قراراته في :

1- وضع هذا المؤتمر برنامج الحركة الصهيونية التي تتمثل في استعادة أرض ملكة إسرائيل بحدودها التاريخية وإعادة تكوين الشعب اليهودي في وطنه القديم (المزعوم) .
2- وضع المؤتمر أسس المنظمة الصهيونية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد .
3- وأوصى المؤتمر بالتدابير التالية لتحقيق الأهداف الصهيونية :

أ- العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود ووفق أسس مناسبة .

ب- تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيته .

ج- القيام بالسعي لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية .

د- تنظيم العناصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية وفقا للقوانين المتبعة في كل بلد

- وضع هذا المؤتمر شعار العلم اليهودي ، والنشيد القومي اليهودي ، وتأسست الهيئات الصهيونية التنفيذية ، وصندوق الائتمان اليهودي لشراء الأراضي . . وبناء عليه أصبح لفظ صهيوني يعبر عن كل من يعتنق المبادئ التي وضعت في هذا المؤتمر ، ويكتتب سنويا بمقدار شيكل واحد – نصف دولار .

- وهكذا صاغ هيرتسل الأفكار الصهيونية في حركة سياسية ذات طابع عالمي وأصبح المنظم الذي لا يلحق به كلل أو إعياء للحركة الصهيونية ، وداعيتها ومندوبها السياسي .

- مشيعا أن اليهود امة يمثلون قومية وأسطورة الجنس الواحد ، ومرددا الحقوق التاريخية، والأسطورة التوراتية. وكان هيرتسل قد قال في أعقاب هذا المؤتمر : " لو أردت أن أختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة – وهذا ما لن أفعله صراحة – لقلت في بازل أسست الدولة اليهودية . "

- وفي المؤتمر الصهيوني الثاني سنة 1316 هـ / 1898 م أقر المؤتمرون : تشكيل لجنة استعمار فلسطين ، وإنشاء المصرف الاستعماري اليهودي ، ليكون الأداة المالية للحركة الصهيونية وللشركة اليهودية المنشودة ، وقد جعل هرتزل مقر المصرف والمؤسسات الصهيونية الأخرى في انكلترا لأنه رأى أن ظروفها العامة ومخططاتها الاستعمارية ومواقف ساستها تحتم تبنيها الكامل للحركة الصهيونية وأخيرا فهناك بعض الملاحظات على مؤتمر بال الصهيوني لا بد من إيرادها :

1- اختار المؤتمر تعبير (وطن قومي) وهو تعبير غامض قد يعني أكثر من معنى ، وذلك عن عمد ، واستمرت الصهيونية في استعمال الألفاظ الغامضة تعمية للأبصار عن الأهداف الحقيقية حتى تقطع فيها خطوات وتتمكن منها .

2- أصبحت الحركة الصهيونية كدولة يهودية موزعة بين حكومات العالم ، فاللجنة التنفيذية كانت السلطة التنفيذية ، والمؤتمر الصهيوني كان المجلس النيابي ، وكانت المنظمة الصهيونية العالمية المفوض الذي يتحدث باسم يهود العالم ، فأصبح كل يهودي صهيوني شاء أم أبى . وليس بينهما فرق أبدا .

3- وضع المؤتمر قرارات سرية أظهرتها فيما بعد بروتوكولات حكماء صهيون في ضمنها اشعال حرب عالمية ، والسيطرة على العالم اقتصاديا وفكريا ، تمهيدا للسيطرة اليهودية على العالم . وقد تغلغل النفوذ الصهيوني في أوربا بالفعل ، ولم يصبح في المجتمع الأوربي صوت حقيقي يرتفع في وجه الصهيونية كي يحد من أحلامها ، وسيطرت على محترفي السياسة في أوربا وأمريكا ، حتى أنها تمكنت في آخر الأمر أن تنتزع موافقتهم على إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

- فأصبحت الصهيونية تركز عداءها ضد العالم الإسلامي وحده ، وكانت الدولة العثمانية هي زعيمة المسلمين ، وفلسطين من أملاكها ، فاتبعت الصهيونية معها الأساليب التالية :

أ- أسلوب الإغراء : فقد قابل هرتزل السلطان عبد الحميد مستعملا أسلوب الرشاوى مع الوسطاء والمسئولين الأتراك، ووساطة الدول الأوروبية وخاصة ألمانيا ، وقدم له التماسا لتحقيق المطامع اليهودية وعرض عليه تسديد ديون الدولة العثمانية جميعها وخمسة ملايين جنيه ذهب لجيبه الخاص مقابل السماح لليهود باستيطان فلسطين كرعايا للدولة العثمانية . فرفض السلطان طلبه ، وكان قد عرف ألاعيب الصهيونية ، واتبع خطوات إيجابية ليحول دون تسلل اليهود إلى فلسطين بأن فصل سنجق القدس عن ولاية دمشق ، واتبعه للباب العالي رأسا ، ومنع بقاء الزوار اليهود أكثر من ثلاثة شهور في القدس . وبذلك حد من تسللهم .

ب- أسلوب التهديد : فقد عمدت الصهيونية إلى تهديد الدولة العثمانية عن طرق الدول الاستعمارية الأوروبية – وخاصة النمسا ثم بريطانيا وألمانيا ، وحاولوا الحصول على العريش وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص كما عُرض عليهم أوغندة وليبيا والعراق وموزنبيق والكونغو ومدغشقر. وقد وافق كرومر المعتمد البريطاني في مصر على منح الصهيونية العريش وشبه جزيرة سيناء وقابل هرتزل المستشار القانوني للحكومة المصرية بهدف الإعداد للتعاقد على استعمار سيناء والعريش لمدة 99 سنة ، ولكن المشروع فشل بجهود الدولة العثمانية.

ج- أسلوب التآمر ضد الدولة العثمانية – وذلك :

1- بتشويه سمعة السلطان عبد الحميد واتهامه بالرجعية والاستبداد حتى أصبح ممقوتا حتى عند شعبه لما تملكه الصهيونية من شبكات وسائل الأعلام .

- - بمحاولة إثارة النعرات القومية داخل الدولة العثمانية عن طريق الجمعيات الماسونية التي انضوى إليها بعض الشباب العرب والأتراك في باريس وبقية أوربا . فظهرت فكرة القومية التركية (الطورانية) وفكرة القومية العربية ، وتمكنت جمعية الإتحاد والترقي من إزالة السلطان عبد الحميد ، وكانت فيها عناصر الدونمة (يهود سالونيك) عام 1327 هـ / 1909 م كما سبق (. وقطف اليهود الثمار بعد سقوط عبد الحميد ، فقد سمحت جمعية الاتحاد والترقي بعد نجاحها بهجرة اليهود إلى فلسطين ، ونقلت كثيرا من الموظفين المعارضين للهجرة اليهودية إلى أماكن أخرى . إلى أن ضج العرب المسلمون في مجلس المبعوثان ، وبعض الصحف في فلسطين ، فأغلقوا الصحف ، وتظاهروا بالعودة إلى أسلوب السلطان عبد الحميد بشأن الهجرة اليهودية .

- فعاد أسلوب التسلل ولكن بحماية المسئولين هذه المرة وتسهيلاتهم من جمعية الاتحاد والترقي التركية . فارتفع عدد اليهود من خمسين ألفا عام 1315 هـ / 1897 م إلى85 ألفا عام 1333 هـ / 1914 م من أهل فلسطين الذين بلغ عددهم 689 ألفا حسب تقديرات السلطات العثمانية . فيمكن القول ودون مبالغة أن تاريخ إنشاء دولة اليهود في فلسطين كان عام 1909 م ، يوم سقوط السلطان عبد الحميد .

- وأخيرا فلنا أن نتساءل لماذا اختارت الصهيونية فلسطين بالذات ما دام عرض عليها أوغندة ، أو مدغشقر ، أو موزنبيق ، أو الكونغو وغيرها ؟

- يجيبنا على هذا (ناحوم غولدمان) رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في خطاب ألقاه في مدينة (مونتريال) في كندا عقد عام 1367 هـ / 1947 م :

- " كان في إمكان اليهود أن يحصلوا على أوغندة أو مدغشقر أو غيرهما ، ليقيموا في أي منها وطنا يهوديا ، ولكن اليهود لا يريدون سوى فلسطين ، لا لاعتبارات دينية ، أو لأن التوراة قد أشارت إليها ، أو لأن مياه البحر الميت تستطيع أن تعطي عن طريق التبخر ما قيمته خمسة آلاف مليون من الدولارات من المعادن والأملاح ، أو لأن تربة فلسطين الجوفية تحتوي على كميات من البترول تبلغ عشرين ضعف احتياطي البترول في الأمريكتين – بل لأن فلسطين هي ملتقى الطرق بين أوربا وآسيا وأفريقيا ، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية ، ولأنها المركز العسكري الإستراتيجي للسيطرة على العالم "

- وهكذا تطابقت المصالح الاستعمارية مع أهداف الحركة الصهيونية في هذا الاختيار الإستراتيجي الهام .

ثالثا : مرحلة المناورات الخفية الماكرة – العمل المراوغ 1333 – 1337 هـ / 1914 – 1918 م :

<u>وهذه هي فترة الحرب العالمية الأولى ، وكانت الدول المتحاربة :</u>

أ- الحلفاء : بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وانضمت إليهم إيطاليا ثم الولايات المتحدة ، في حين انسحبت روسيا من الحرب بعد ثورة أكتوبر الشيوعية عام 1336 هـ / 1917 م :

ب- دول الوسط : وهي ألمانيا والنمسا وانضمت إليهما جمعية الإتحاد والترقي التركية .وقد استطاعت الصهيونية أن تمد نفسها كالإخطبوط بين مختلف هذه الدول المتحاربة ، عن طريق الجاسوسية والأموال والدعاية ، فأخذت من كل منها وعودا ، في حين كانت تتظاهر بالحياد ، ونقلت مقرها الرئيسي من برلين إلى كوبنهاجن عاصمة الدنمرك المحايدة

- فتمكنت من الحصول على وعد بلفور من بريطانيا ، وهو بمثابة شهادة زواج غير شرعي بين الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية ، على حساب مستقبل الإسلام والمسلمين في فلسطين . وهذا نصه :

- " عزيزي اللورد روتشيلد : يسرني جدا أن أنقل إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأماني اليهودية الصهيونية الذي رفع إلى الحكومة ووافقت عليه :

- إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل أقصى جهدنا لتحقيق هذه الغاية ، هذا مع العلم أن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئا ينطوي على أي مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا بحقوق اليهود أو بمركزهم السياسي الذي يتمتعون به في غيرها من البلاد "

- ولقد اتسم هذا التصريح كما ترى بأفكار سياسية استعمارية ماكرة قصد بها الغموض والتضليل ، من كلمات العطف ، وإقامة وطن قومي للشعب اليهودي ، مع أن اليهودية دين منحرف عن عقيدة موسى عليه السلام ، وليست شعبا ، واعتبار غير اليهود طوائف في فلسطين ، ويعتبر هذا من أغرب الوثائق الدولية في التاريخ إذ منحت بموجبه دولة استعمارية أرضا لا تملكها إلى جماعة لا تستحقها على حساب من يملكها ويستحقها ، وقد أقدمت على هذه الجريمة قبل أن تتقدم جيوشها بمساعدة حلفائها من العرب الذين قادهم فيصل ولورنس إلى فلسطين . ويكفي أن نذكر أن المستر (بيفن) وزير خارجية بريطانيا بعد ذلك بثلاثين عاما عير عن مدى التناقض الذي يشتمل عليه هذه التصريح بقوله :

- " إنه كان في الواقع يتضمن شيئين متناقضين : تشجيع الهجرة إلى فلسطين ثم حماية السكان الأصليين ضد المهاجرين .

الدوافع التي دفعت بريطانيا للسير في المخططات الصهيونية :

1- مصالح بريطانيا السياسية والإستراتيجية في البلاد الإسلامية :

- فقد هدفت بريطانيا إلى كسب هدف استراتيجي يخدمها في الشرق الإسلامي ، بإيجاد تجمع يهودي في فلسطين تحت السلطة البريطانية يؤمن الطريق المؤدي إلى الهند – ذرة التاج البريطاني – والسيطرة على قناة السويس ، ويمنع قيام وحدة بين المسلمين في آسيا وأفريقيا ، ويشغل العالم العربي والعالم الإسلامي ، ففي عام 1325 هـ / 1907 م ، أخذت بريطانيا تدرس عن طريق رؤوس الاستعمار ومفكريه الوسائل الكفيلة لتفادي انهيار الإمبراطورية فكان مشروع (كامبل باترمان) رئيس وزراء حرب الأحرار الحاكم في بريطانيا آنذاك الذي اعتبر الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بإفريقيا ويمر فيه قناة السويس هو مكمن الخطر .

2- تدهور الموقف الحربي للحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى ، فبدا للحكومة الإنجليزية أن تستميل الرأي العام الأمريكي ، لعلها تقنع الولايات المتحدة بالاشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء ، وللصهيونية تأثير كبير على هذا الرأي العام في الولايات المتحدة ، فعملت على السير في المخططات الصهيونية فضمنت بذلك جماعات اليهود القوية العالمية التي تبسط سيطرتها على أسواق المال ، لا في نيويورك فقط ، بل في نواحي كثيرة من أنحاء العالم ، وحملها على مناصرة قضية الحلفاء ، وبالفعل فقد تحولت الحرب لصالح الحلفاء بدخول الولايات المتحدة الحرب عام 1917 م

3-مشكلة استخراج الأسيتون : والأسيتون مادة تستخدم كمذيب للبارود فلا تطلق دخانا ، وقد تمكن الدكتور وايزمن من استخراج هذه المادة بعد أن كانت عمليات الاستخراج قد عجزت عن الوفاء باحتياجات معامل وزارة الحربية .

رابعا : مرحلة العمل الصهيوني الإنجليزي لتهويد فلسطين 1337 – 1358 هـ / 1918 – 1939:

- - في هذه المرحلة تمكنت الصهيونية والاستعمار من إسقاط الخلافة العثمانية وإلغائها . ووقعت البلاد العربية في الشام والعراق بعد أن جزئت في قبضة الاستعمار الإنجليزي والفرنسي ، وتبنت دول الحلفاء كلها وعد بلفور ، وضربوا بوعودهم للعرب عرض الحائط ، وأصبح وعد بلفور الموجه الذي تسترشد به السياسة البريطانية .

- وانشغل في هذه الفترة كل قطر عربي وإسلامي بمشاكله الخاصة ، ومعاناته ، فانفردت الصهيونية والإنجليز في فلسطين ، فقد تم التوقيع عام 1338 هـ / 1919 م في مؤتمر فرساي (مؤتمر الصلح) على ميثاق عصبة الأمم .

- وفي المادة (22) من هذا الميثاق نص يعرف بصك الانتداب . وفي معاهدة سيفر سنة 1339 هـ / 1920 م ، انحلت الدولة العثمانية ولم يبق للأتراك إلا مدينة القسطنطينية مع ضاحيتها ، والقسم الأعظم من شبه جزيرة الأناضول أي آسيا الصغرى ، ووضعت سورية الشمالية تحت الانتداب الفرنسي أي تحت النفوذ الفرنسي ، وأصبحت سورية الجنوبية والعراق وشرق الأردن منطقة نفوذ انكليزي . وبدلت معاهدة سيفر بمعاهدة لوزان عام 1923 م على أثر انتصارات مصطفى كمال ولم تبدل هذه المعاهدة شيئا فيما يتعلق بالبلاد العربية . وفي مؤتمر سان ريمو سنة 1339 هـ / 1920 م تم اقتسام بلاد الشام والعراق بين بريطانيا وفرنسا ، وتبنت دول الحلفاء وعد بلفور علنا . وأصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور . وأقر مجلس عصبة الأمم هذا الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور .

- فقامت بريطانيا بدورها في تهويد فلسطين بحماس شديد . ومن أهم ما عملته في هذا السبيل :

1- تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين :

- فوصل عدد اليهود من 55 ألفا عام 1339 هـ / 1919 م إلى 108 آلاف عام 1344 هـ / 1925 م و 300 ألفا عام 1354 هـ / 1935 م و 650 ألفا عام 1368 هـ / 1948 م، فرأى أهل فلسطين سيول الغرباء تغمر بلادهم دون أن يستطيعوا وقف هذه السيول . وكان اليهودي يمنح الجنسية الفلسطينية قبل أن يطأ أرض فلسطين . في حين كانت توضع مختلف العراقيل أمام المسلمين في التجنس !

2- تشجيع انتقال حيازة الأرض إلى اليهود :

- فقد منحت السلطات البريطانية أجزاء كبيرة من أراضي الدولة الصالحة للزراعة مثل منطقتي بيسان والبيرة وقيصرية .

3- اعترفت بريطانيا بالوكالة اليهودية شريكة في تنفيذ المخططات ، فأصبحت دولة داخل دولة ، كما عملت السلطات البريطانية على تهويد الإدارات الحكومية بجعلها في يد اليهود أو الانجليز المعروفين بتعصبهم للصهيونية . وقد تطورت الوكالة اليهودية بفعل الدعم البريطاني المستمر ، واكتسبت خصائص الحكومة المستقلة عند نهاية الحرب العالمية الثانية . إذ تحكمت في القطاع الاقتصادي اليهودي ، وكان لها مستشفياتها ، وخدماتها الاجتماعية ، وإدارات لمدارسها ، وجهاز استخبارات – حيث كان جميع مواظفي الحكومة اليهود – عمليا – مخبرين لديها . كما ضبطت منظمتها العسكرية الخاصة بها وهي الهاجاناه .

4- عينت بريطانيا هربرت صموئيل السياسي البريطاني الصهيوني المتعصب أول مندوب سامي في فلسطين عام 1339 هـ / 1920 م ليشرف بنفسه على تنفيذ الجريمة

5- اعترفت بريطانيا باللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية والانجليزية ، ومنحت اليهود حق الإشراف على شئون تعليم اليهود بينما ظلت شئون المسلمين في أيدي الموظفين الانجليز واليهود وافتتح بلفور نفسه الجامعة العبرية سنة 1344 هـ / 1925 م في القدس .

6- منحت بريطانيا الصهاينة امتيازات المشاريع الهامة في فلسطين

- كمشروع روتنبرغ للكهرباء ، وتجفيف بحيرة الحولة ، ومشروع البوتاس على البحر الميت .

موقف المسلمين

لم يوافق العرب والمسلمون على وعد بلفور ، ولكن مواقفهم اتسمت بالتهاون والتخاذل ، وذلك لانشغالهم بقضاياهم ومعاناتهم الهجمة الاستعمارية الشرسة ، ولغموض وعد بلفور وعدم إدراكهم أبعاده ، أما أهل فلسطين فقد كانوا أكثر المسلمين إدراكا لأبعاد التصريح.

وكانت مطالب المسلمين تنصب على :

1- العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

2- إيقاف الهجرة اليهودية إيقافا تاما .

3- منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود .

4- منح فلسطين الاستقلال أسوة بالبلدان الأخرى وعلى الشروط نفسها .

- وكان التيار الإسلامي قويا في حركات أهل فلسطين ، وكثيرا ما ناشدوا مسلمي الهند للتنبه إلى الأخطار اليهودية على فلسطين. **ومن أهم هذه الحركات الجهادية :**

1- حركة عام 1340 هـ / 1921 م : على إثر تصريحات تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك الموالية للصهيونية .

- وقد بدأت انتفاضة المسلمين في مدينة يافا ، ثم امتدت إلى سائر المدن الفلسطينية ، فلجأت بريطانيا إلى سياسة التهدئة ، وإتباع أسلوب تشكيل اللجان للتحقيق ، التي كانت تتقدم بتوصيات تتضمن حرصها على مصالح أهل فلسطين ، ثم لا تلبث أن تعود إلى سياستها القائمة على التهويد .

2- حركة البراق عام 1348 هـ / 1929 م : إثر اعتداء اليهود على حائط البراق ، بأن تظاهر اليهود قربه ، ورفعوا العلم الصهيوني ، وأنشدوا النشيد الصهيوني – الهاتكفا – وشتموا المسلمين .

3- وفي عام 1352 هـ / 1931 م: إستغلت الصهيونية الإضطهادات النازية لليهود في ألمانيا ، فأخذت تضغط على الحكومة البريطانية لإيواء يهود وسط أوربا في فلسطين ، وتدفقت الهجرات .

فقام المسلمون والعرب بعقد عدة مؤتمرات أهمها المؤتمر الإسلامي بمناسبة الإسراء والمعراج في القدس ، إشترك فيه جماعة من الحركة العربية والإسلامية ومثلت فيه 22 بلدا ، وكان الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي الزعيم الهندي ، لولب هذا المؤتمر ، وقد حضره وفد من مسلمي البوشناق ضم وزيرا والمفتي الأكبر ، وممثلون لمسلمي جاوه وتركستان وغير ذلك من البلاد ، ورغم العقبات التي اعترضت هذا المؤتمر فقد خرج بمقررات ناجحة تشجب الاستعمار والصهيونية وهي :

1. وضع دستور للمؤتمر يجعل المؤتمر منظمة دائمة ، تجتمع دوريا ، وتوجد لها مؤسسات تابعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، ويحدد لها أهدافا سامية ، نابعة من عظمة الإسلام وتاريخه .
2. إنشاء جامعة إسلامية كبرى في القدس تسمى : جامعة المسجد الأقصى . وتأليف دائرة معارف إسلامية .
3. - الدفاع عن فلسطين لأهميتها بالنسبة للعالم الإسلامي ، وشجب السياسة البريطانية .
4. تشكيل شركة إسلامية لإنقاذ أراضي فلسطين .
5. تسليم سكة حديد الحجاز إلى هيئة إسلامية ، لأنها ملك للمسلمين .
6. استنكار السياسة الاستعمارية الروسية في بلاد تركستان والتتر والطليانية في ليبيا ، والفرنسية في سورية ولبنان والمغرب العربي والانجليزية في مصر والسودان وجزيرة العرب .

- - حركة الشيخ عز الدين القسام سنة 1354 هـ / 1935 م

- - الشيخ عز الدين سوري المولد هاجر إلى حيفا عام 1340 هـ / 1921 م بعد انهيار الثورة السورية ضد الفرنسيين ، وكان قائدا بارزا ، انضم إلى جهاز التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا ، وأخذ يثير روح الجهاد في جميع الحركات ، وانضم إلى جمعية الشبان المسلمين وتولى قيادتها عام 1345 هـ / 1926 .

4- الثورة الفلسطينية الكبرى : 1355 – 1358 هـ / 1936 – 1939 م :

- تدفق سيل الهجرة اليهودية من شرعية ، وغير شرعية (حسب مفهوم السلطات البريطانية الحاكمة) بعد قرارات مؤتمر براغ الصهيوني الذي دعا إلى فتح أبواب فلسطين أمام هجرة غير محدودة ، بالنظر إلى ما يعانيه يهود ألمانيا من اضطهاد النازية ، فزاد ذلك الطين بله وصب الزيت على النار المشتعلة ، فقام المسلمون بمظاهرات عامة عام 1352 هـ / 1933 م وانتفاضات قوية في مختلف مدن فلسطين تصدت لها القوات البريطانية بشدة .

- ثم كانت حركة الشيخ عز الدين القسام التي أثارت المشاعر الإسلامية وحركتها ، فبدأ الناس بإضراب استمر ستة شهور وهو أطول إضراب عرفه التاريخ ، ثم تحول إلى حركة مسلحة شملت كل أنحاء فلسطين واشترك فيها مجاهدون من مختلف البلدان العربية والإسلامية .

- وقد عجزت بريطانيا بوسائلها القمعية وقواتها العسكرية بقيادة الليفتنانت جنرال (ديل) من القضاء على هذه الحركة ، فلجأت إلى مناشدة الزعماء العرب بالتدخل ، وبالفعل تدخل الملوك والأمراء العرب وأوقف أهل فلسطين الثورة ، وأنهوا الإضراب ، بعد أن ناشدهم الزعماء في ذلك . (والاعتماد على النيات الطيبة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي أعلنت أنها ستحقق العدالة .

وكانت الفوائد التي جناها الصهاينة والإنجليز من هذه المناشدة :

أ- وفرت بريطانيا على نفسها جندها ومعداتها .
ب- بدأت القضية تتحول من الإتجاه الإسلامي إلى إتجاه غربي .
ت- أتاحت الفرصة لإعادة التخطيط ، والتقاط الأنفاس ، للتوثب إلى مرحلة قادمة . فأرسلت لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل ، انتهت في تقريرها سنة 1356 هـ / 1937 م .
- عقدت بريطانيا مؤتمرا شهده العرب واليهود والحكومات العربية : مصر والمملكة العربية السعودية ، واليمن ، والعراق ، وشرق الأردن – وقد وضع العرب شروطهم للتسوية على الأسس التالية :

أ- وقف الهجرة اليهودية .
ب- منع انتقال الأراضي إلى أيدي اليهود .
ث- قيام دولة مستقلة بأكثرية عربية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن الحقوق السياسية والمدنية لليهود .
ج- أن تكون اللغة العربية الرسمية والعبرية هي لغة ثانية في مناطق الكثرة اليهودية فقط .لم توافق بريطانيا والصهيونية على ذلك ، وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب ، وبدأت بريطانيا نفسها تحس بالخطر الصهيوني وأرادت التخلص من المشكلة ، فأصدرت الكتاب الأبيض عام 1358 هـ / 1939 م عدلت فيه عن مشروع التقسيم .

خامسا : مرحلة العمل لإقامة الدولة الصهيونية الفعلية 1358 – 1368 هـ / 1939 – 1948 م :

- نددت الصهيونية بالكتاب الأبيض ، ولجأ اليهود إلى العنف والإرهاب في مقاومته داخل فلسطين ، فقاموا بثورة أخذت فيها العصابات اليهودية الإرهابية مثل (شتيرن) و (الأرغون) تغير على الثكنات العسكرية والمستودعات والمطارات البريطانية ، كما أخذت تنسف دور الحكومة ودوائر البوليس والمرافق العامة ، وقتلت عددا من الضباط والجنود البريطانيين ، واغتالت اللورد (موين) وزير الدولة البريطانية في القاهرة. وكانت بريطانيا تعامل اليهود في الوقت نفسه كالطفل المدلل ، دون أن تلجأ غلى العنف في قمع حركاتهم كما كانت تعمل مع المسلمين من أهل فلسطين . وقامت الصهيونية من ناحية أخرى بحملة دعائية وسياسية ضد الكتاب الأبيض في بريطانيا ذاتها ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، والدوائر الاستعمارية .

- واهتمت الصهيونية أثناء ذلك بالتجنيد والتدريب العسكري ، فأقامت قوة عسكرية تابعة للوكالة اليهودية باسم (الهاجاناه) ، وحملوا بريطانيا على تأليف فيلق يهودي ليحارب إلى جانب الحلفاء ، فزودتهم بريطانيا بالأسلحة الحديثة والدبابات والعتاد الحربي ، ودربتهم أثناء الحرب أحسن تدريب ، على أيدي الجنود البولنديين اليهود الذين فروا بأسلحتهم .

- واتجهت الصهيونية في جهودها إلى الولايات المتحدة ، فركزت عليها سياسيا وإعلاميا ، وكما التقت الأهداف الصهيونية والبريطانية سابقا ، التقت أهداف الصهيونية مع أهداف الولايات المتحدة زعيمة الاستعمار الجديد التي تخلت عن سياسة العزلة التي انتهجتها بين الحربين ، وأخذت تحاول أن تحل محل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في استعمار البلاد الإسلامية .

- فعقدت الصهيونية مؤتمر بلتيمور الصهيوني في فندق بلتيمور بنيويورك عام 1361 هـ / 1942 م الذي اتخذ قرارات تعادل قرارات بازل في أهميتها ومنها :

1. ضرورة قيام سريع للدولة اليهودية في فلسطين كجزء من العالم الديمقراطي الجديد .
2. رفض الكتاب الأبيض لعام 1358 هـ / 1939 م والضغط على بريطانيا لإلغائه .
3. إطلاق الهجرة اليهودية واستيطان فلسطين تحت إشراف الوكالة اليهودية .
4. إنشاء جيش يهودي خالص يحارب إلى جانب الحلفاء . .

- وحاولت أمريكا بزعامة روزفلت أن تحقق الدولة اليهودية على أيدي بعض الزعماء العرب فاجتمع بالملك عبد العزيز آل سعود يوم 14 / 2 / 1945 م بعد مؤتمر مالطا، وحاول إقناعه بذلك ، فرفض الملك عبد العزيز رفضا قاطعا وقال له : " أعطهم أرض الألمان الذين اضطهدوهم " .

- وطالب عبد العزيز آل سعود وقف الهجرة اليهودية واختيار بريطانيا بين صداقة العرب ونضالهم ضد الهجرة اليهودية حتى الموت . فكان موقفه يمثل الموقف الإسلامي الذي لا يقبل بتأسيس الكيان الصهيوني اليهودي على أقدس بقعة من أرض الإسلام بعد الحجاز .

- واندفع ترومان الرئيس الأمريكي الذي خلف روزفلت في تأييد الصهيونية وممارسة الضغط على الحكومة البريطانية من أجل الإذعان للمذكرة اليهودية التي قدمت سنة 1945م .

- ثار العرب على هذه التوصيات وعقدت الجامعة العربية مؤتمر بلودان عام 1946 م ، فعقدت بريطانيا مؤتمر لندن في العام نفسه لتجمع بين العرب واليهود بإشرافها ، فقرر وزراء الخارجية العرب عدم الجلوس مع اليهود على مائة واحدة ، أو الاعتراف بحق الولايات المتحدة للتدخل في موضوع فلسطين ، أو قبول أي مشروع يهدف إلى التقسيم ورغم ذلك فقد قدمت بريطانيا مشروع موريسون للتقسيم إلى أربع مناطق إدارية هي :

1- المنطقة اليهودية : وتشمل معظم الأراضي التي حل فيها اليهود حتى ذلك اليوم .
2- القدس : وتشمل القدس وبيت لحم والأراضي القريبة منها .
3- النقب .
4- المنطقة العربية .

- ولم يوافق العرب واليهود على هذا التقسيم وانتهت مهمة بريطانيا في التمكين لليهود ، فنقلت القضية إلى الأمم المتحدة ، وأعلنت أنها تتخلى عن مهمة الانتداب على فلسطين ، وأنها ستنسحب بقواتها من فلسطين يوم 25 مايو 1948 م / 1367 هـ .وعرضت القضية على هيئة الأمم المتحدة عام 1366 هـ / 1947 م فاقترحت التقسيم على النحو التالي :1- الدولة العربية : تتألف من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من أسدود في الجنوب إلى الحدود المصرية .2- الدولة اليهودية : وتتألف من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع التي تضم النقب .3- توضع منطقة القدس وضواحيها تحت نظام الوصاية الدولية .4- تنال الدولتان استقلالهما بعد مرحلة انتقال مدتها عامين تستمر بريطانيا خلالها في حكم فلسطين تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة .5- قبول 150 ألف مهاجر في الدولة اليهودية.

- وفجأت أعلنت بريطانيا من جانبها إنهاء الانتداب على فلسطين في 14 مايو 1948 م ، وأخذت تجلو بطريقة تساعد اليهود على تثبيت أقدامهم في المدن الكبرى ، وفي القبض على زمام الأمر فيها بالاستيلاء على المطارات والمرافق

العسكرية والمنشآت الهامة ، فقد كانت تجلو أولا من الأحياء المسلمة في تلك المدن لتمكن اليهود من احتلالها ، وتمنع في الوقت نفسه دخول أية إمدادات إليها ، فحدثت مجازر كمجزرة دير ياسين وقبية ، وناصر الدين على مرأى ومسمع من السلطات البريطانية ، التي لم تحرك ساكنا لإنقاذ أهلها العزل من السلاح ، وقد أدت هذه المجازر إلى نزوح أفواج المسلمين إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان وهكذا نجحت الصهيونية باستخدام بريطانيا والولايات المتحدة في خطوتها الأولى ، وقامت دولة اليهود المسخ على أقدس بقعة من أرض الإسلام . وتحولت الوكالة اليهودية إلى حكومة مؤقتة لدولة اليهود عام 1948 م .

سادسا : مرحلة تثبيت الدولة اليهودية 1368 – 1387 هـ / 1948 – 1967 م :

- رفضت البلاد العربية الاعتداء الصهيوني ، فدخلت الجيوش العربية أرض فلسطين من الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر والمملكة العربية السعودية ، وكانت قوات الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني طليعة العمل الجهادي قد أجبرت 115 ألف يهودي على الاستسلام في مدينة القدس ، نتيجة حصارهم ، باحتلال مضيق باب الواد وإقفاله ، وقام أفرادها بعدة معارك ، ونصبوا الكمائن للقوافل اليهودية والإنجليزية ، كما قامت فرق التدمير بنسف العديد من المنشآت والمباني اليهودية ، وقد ساند الجهاد المقدس جيش الإنقاذ الذي كلف بإنشائه .

- - مشروع جونستون عام 1954 م :

- قدم جونستون – مندوب الرئيس الأمريكي (أيزنهاور) الخاص المكلف ببحث القضية الفلسطينية – تقريرا مفصلا عام 1954 م بني **<u>على ثلاث نقاط رئيسية هي :</u>**

أ- تقسيم مياه نهر الأردن بين العرب واليهود ، 10 % لكل من سوريا ولبنان ، 40 % لكل من الأردن وإسرائيل . بحيث تأخذ إسرائيل هذا القدر لاستصلاح صحراء النقب لإيواء ثلاثة ملايين من المهاجرين اليهود . وتأخذ الأردن حصتها لاستصلاح ثلاثة ملايين دونم (في الضفة الغربية) لتوطين اللاجئين العرب .

ب- تحديد حدود ولو مؤقتة بين الكيان الصهيوني والبلاد العربية المجاورة ، تحدد نهائيا فيما بعد ، على أن تترك شقة حزام عرضها 200 متر) بين البلاد العربية وإسرائيل على طول الحدود .

- العدوان الثلاثي على مصر عام 1376 هـ / 1956 م : ففي هذا العام أعلن الرئيس المصري تأميم قناة السويس ، فقامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بغزو الأراضي المصرية ، **<u>ويهمنا في هذا العدوان نتائجه :</u>**

أ- حاولت أمريكا أن تحل محل بريطانيا وفرنسا مدعية الحق في ملء الفراغ الذي حدث في المنطقة بعد تقلص النفوذ البريطاني والفرنسي ، ومستندة إلى أنها ساعدت مصر في الضغط على إسرائيل وبريطانيا وفرنسا بوجوب الانسحاب .

سابعا : مرحلة التوسع اليهودي : 1387 هـ / 1967 م – 1409 هـ / 1988م :

- تعمد اليهود إثارة التوتر على الحدود السورية ، وكانت الشعارات القومية والاشتراكية والثورية على أشدها في مصر وسوريا ، وتعرضت مصر للانتقادات لوجود قوات الطوارئ الدولية .

- **<u>ومن أهم نتائجها :</u>**

أ- أثبتت فشل الشعارات التي ملأت الدنيا ضجيجا من قومية واشتراكية وثورية وغيرها . وأكدت أن نجاح الأمة يتمثل في عودتها إلى أصالتها ، وإلى دينها . فهي تمثل في الحقيقة منعطفا نحو إدراك الأمة لذاتها .

ب- زادت من غرور العسكرية اليهودية ومن ثقة الصهيونية بخطتها الرامية إلى تكوين دولة اليهود الكبرى من الفرات إلى النيل بما فيه شمال الحجاز والخليج العربي . وفي 22 تشرين الثاني عام 1387 هـ / 1967 م اتخذ مجلس الأمن الدولي القرار رقم (242) والذي ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في حرب عام 1967 م وعلى إنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل ، واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة وحقا في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، وعلى ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية ، وعلى تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

اتفاقيات كامب ديفيد :

- ومع شيوع روح الاستسلام في الأمة الإسلامية ، والقبول بالأمر الواقع ، وتجرع الهزيمة ، وتفسخ المجتمعات الإسلامية ، والانحراف العقيدي الخطير ، والفراغ الذي يعيشه أفراد الأمة ، وانقسام الدول الإسلامية ، تحقق الإنجاز الأكبر الذي لم تكن لتحلم به إسرائيل ، ألا وهو توقيع اتفاقيات كامب ديفيد ، وإنهاء حالة الحرب مع العدو الصهيوني ، والقضاء على عقدة العداء له ، وما تبع ذلك من تطبيع العلاقات ، وتبادل التمثيل الدبلوماسي ، وفتح الحدود لجميع المبادلات السياحية والتجارية والإعلامية بين اليهود ومصر .

- بدأ مؤتمر كامب ديفيد أعماله بحضور كارتر رئيس الولايات المتحدة والسادات وبيغين من 5 إلى 17 أيلول 1978 م ، واتفق الأطراف الثلاثة في نهاية المفاوضات على وثيقتي كامب ديفيد.

محاضرة الحادية عشر

قضية كشمير

تقع كشمير في الشمال الشرقي من باكستان ، وتحيطها باكستان من جزء من شمالها الغربي ومن غربها ومن جزء من جنوبها الغربي وتحدها الصين الشعبية من جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جزء صغير من جنوبها الشرقي ، وتحدها هندستان من جزء من جنوبها . فهي متاخمة لخمس دول وهي : باكستان ، وأفغانستان والاتحاد السوفييتي ، والصين ، والهند .

مساحتها 217935 كم2 ، وعدد سكانها حاليا حوالي تسعة ملايين نسمة ، تبلغ نسمة المسلمين أكثر من 90 % ، والباقي من الهندوس والسيخ والبوذيين . وكانت تشمل حتى وقت تقسيمها على ثلاثة مناطق هي : جمو وكشمير ومناطق الحدود ..

وهي بلاد جبلية فيها سهلان ، أو واديان ، هما وادي جمو ووادي كشمكير ، طيبة المناخ كثيرة الأنهار والغابات ، وأنهارها الكبيرة هي السند وجليم وجناب ، وهي الأنهار التي تنساب إلى باكستان وترويها ، وهي أجمل بلاد العالم من حيث مناظرها الطبيعية ، ومناخها البارد وتغمر بعض مناطقها الثلوج شهورا طويلة من السنة ، وفواكهها وخضارها كثيرة . وأخشابها تمثل ثروة طبيعية هامة ، وتربى في مراعيها أعداد كبيرة من الماعز الكشميري المشهور بصوفه الكشميري الثمين .

وتم اكتشاف الياقوت فيها عام 1404 هـ / 1983 م . عدا معادنها الثمينة الأخرى

فهي في موقع جغرافي حساس من وجهة النظر الإستراتيجية ، ذلك لأنها تضم الممرات والثغرات في المرتفعات الشاهقة الوعرة ، وأنها تحكم التحركات على الطرق ومحاور الاتجاهات بين أرض الهند وشبه القارة بصفة عامة وبين أرض التبت من وراء الجبال شمالا وكأنها بذلك أحد الأبواب التي تقيم الصلة بين الهند وآسيا .

وصول الإسلام إلى كشمير :

وصلها الإسلام مبكرا في أواخر القرن الأول الهجري . وفتحها هشام بن عمرو التغلبي والي السند في عهد أبي جعفر المنصور (136 – 158 هـ) وزاد انتشار الإسلام في عهد المعتصم 218 – 227 هـ . وتمكن فيها في مستهل القرن الرابع عشر الميلادي ، عندما وصلها داعية اسمه بلبل أمكنه أن يقنع أحد حكامها باعتناق الإسلام فسمى نفسه شمس الدين .

فكان أول حاكم مسلم لكشمير . وبدأ به حكم أسرة شاه مرزا التي حكمت كشمير بالعدل إلى أن ضمها جلال الدين أكبر شاه عام 995 هـ إلى دولة المغول الإسلامية بالهند .

واستفحل الإسلام على يد الداعية سيد علي الهمذاني الذي وصلها حوالي عام 729 هـ / 1388 م من فارس . وصحبه في هجرته تلك أكثر من 700 داعية مسلم . وأصبحت جزءا من الدولة الإسلامية الهندية منذ عام (740 هـ / 1399 م) . وقامت بدورها في نشر الإسلام ، وحمله إلى التبت على يد تجارها ، وقد وصل الإسلام التبت أيضا عن طريق يونان ..

ولما ضعفت دولة الهند الإسلامية استطاع أن يسيطر السيخ على كشمير بزعامة المهراجا (رانجيت سنك) عام 1224 هـ / 1809 م

وهزم الانجليز السيخ عام 1255 هـ / 1839 م وأبقوا عميلهم كولاب سنغ الهندوكي) من أسرة (دوجرا) أميرا على كشمير المسلمة مقابل 75 مليون روبية ثمنا لولايته ، دفعها للحاكم البريطاني لمدة مائة عام كما تقرر في معاهدة أمريستار عام 1263 هـ / 1846 م ، على أن يعترف بالسيادة البريطانية عليه مثلما حدث في سائر الإمارات . فبدأت مأساة كشمير ، وبدأ الظلم يعم أهلها ، فعلى الرغم من خيراتها الكثيرة وإمكاناتها الواسعة أصبحت في أسوأ حال بسبب طغيان كلاب سنغ وخلفائه من أسرة دوجرا .

حال المسلمين في ظل حكم أسرة (دوجرا) الهندوكية :

كان حكم كلاب سنغ مضرب المثل في الضرائب التعسفية والقوانين الجائرة وسوء معاملة الرعية .

وكان عبء هذه الضرائب يقع بصفة مباشرة وغير مباشرة على المسلمين ، بصفتهم أغلبية السكان ، بل كان الحاكم يفرض على المسلمين ضرائب خاصة ، كالضرائب التي فرضها على الأضحية التي يضحي بها المسلمون في عيد الأضحى .

وكان يسمح لغير المسلمين بحمل الأسلحة بغير ترخيص ، أما المسلمون فلا يحملونها إلا بتصريح يحصلون عليه بشق الأنفس . وكان ذبح البقر ممنوعا في الإمارة .

المقاومة الإسلامية لسياسة السيخ والهنادكة :

يعتبر الشاعر الدكتور محمد إقبال أحد أبناء كشمير ، وكان لفلسفته دور كبير في بعث روح الإيمان والجهاد لدى المسلمين في كشمير ، فدارت أول معركة بين المسلمين والهندوس في 13 / 7 / 1931 م في مدينة سرينكر سقط فيها آلاف المسلمين بين قتيل وجريح . بمساعدة المستعمر الإنجليزي الذي بقي يؤازر هذه الأسرة .

ونظرا لهذه المظالم بدأ المسلمون يعملون على إيجاد تنظيم لهم يطالب بحقوقهم فكان : المؤتمر الإسلامي لعموم جمو وكشمير بزعامة الشيخ محمد عبد الله – الملقب بأسد كشمير – وتشودري غلام عباس . وعقد دورته الأولى عام 1932 م برئاسة الشيخ محمد عبد الله ، وبرزت مطالب المسلمين في إيجاد هيئة تشريعية شعبية لهم تنظر في مصالح الناس .

فاضطر المهراجا أن يوافق على تكوين الجمعية التشريعية ، على أن تكون مجرد هيئة استشارية ، وأفرج عن المعتقلين وفيهم تشودري غلام عباس رئيس المؤتمر منذ 1934 م . واستمر نفوذ المؤتمر في ازدياد حتى أحرز عام 1938 م 20 مقعدا من 21 واتخذ موقف النقد للحكومة لإهمالها مصالح الرعية .وفي عام 1358 هـ / 1939 م تألفت هيئة جديدة سميت : حزب المؤتمر الوطني ، وانضم إليه بعض الزعماء المسلمين ، ومنهم الشيخ محمد عبد الله ، الذي كان من قبل أحد زعماء المؤتمر الإسلامي ، واتخذ هذا الحزب شعارا : خدمة مصالح الشعب ، وبالتالي خدمة المسلمين
ووجدت الرابطة الإسلامية لعموم الهند صدى لها في كشمير واستقبل المسلمون فيها دعوة جناح بإنشاء دولة باكستان بحماس وترحيب .

وفي عام 1364 هـ / 1944 م وجه حزب المؤتمر الوطني ، وحزب المؤتمر الإسلامي ، دعوة للسيد محمد علي جنه ، رئيس الرابطة الإسلامية ، لزيارة كشمير ، حيث قوبل بحماس بالغ ، وظهر التقارب بينه وبين حزب المؤتمر الإسلامي ، فأقلق هذا زعماء حزب المؤتمر الهندي والمهراجا . وأضعف مركز الشيخ محمد عبد الله أمام الأغلبية المسلمة . فتقرب المهراجا من الشيخ واختاره وزيرا ، ففقد هو وحزبه ما بقي لهما في نفوس المسلمين الكشميريين من ثقة واحترام ، ولعل هذا ما دفع الشيخ محمد عبد الله للقيام بحركته عام 1366 هـ / 1946 م ضد المهراجا ، وطالبه بترك كشمير لشعبها يحكمها ويتولى أمرها . وعرفت حركته باسم : (حركة انزحوا عن كشمير) ، على غرار حركة حزب المؤتمر الهندي ضد بريطانيا : (انزحوا عن الهند) فاعتقله المهراجا ، وحكم عليه بالسجن تسع سنين .

وفي عام 1364 هـ / 1944 م وجه حزب المؤتمر الوطني ، وحزب المؤتمر الإسلامي ، دعوة للسيد محمد علي جنه ، رئيس الرابطة الإسلامية ، لزيارة كشمير ، حيث قوبل بحماس بالغ ، وظهر التقارب بينه وبين حزب المؤتمر الإسلامي ، فأقلق هذا زعماء حزب المؤتمر الهندي والمهراجا . وأضعف مركز الشيخ محمد عبد الله أمام الأغلبية المسلمة . فتقرب المهراجا من الشيخ واختاره وزيرا ، ففقد هو وحزبه ما بقي لهما في نفوس المسلمين الكشميريين من ثقة واحترام ، ولعل هذا ما دفع الشيخ محمد عبد الله للقيام بحركته عام 1366 هـ / 1946 م ضد المهراجا ، وطالبه بترك كشمير لشعبها يحكمها ويتولى أمرها . وعرفت حركته باسم : (حركة انزحوا عن كشمير) ، على غرار حركة حزب المؤتمر الهندي ضد بريطانيا : (انزحوا عن الهند) فاعتقله المهراجا ، وحكم عليه بالسجن تسع سنين .

وأعلن أنه من المحتم وجوب انضمام الولاية (جمو وكشمير) إلى باكستان . كما احتفل المسلمون بيوم باكستان 14 أغسطس ، ورفعوا الأعلام الباكستانية معبرين بذلك عن رغبتهم في الانضمام لها .

ولجأ الأمير هري سنغ الذي تواطأ مع الهند ، حقدا على المسلمين وخوفا منهم ، إلى الحيلة فأخذ يؤجل قراره الحاسم من يوم إلى آخر فحل يوم 15 أغسطس 1367 هـ / 1947 م وهو آخر يوم محدد لتقرير المصير ، دون أن يحدد موقفه ، ولما أراد المسلمون الاحتفال بيوم باكستان أمر بتمزيق الأعلام التي رفعوها ، وأغلق جميع الصحف الموالية لباكستان . وتابع سياسة العسف والشدة ، وإن ارتبط مع الباكستان في اليوم نفسه بميثاق ، انتقلت بمقتضاه إلى باكستان الواجبات والمسؤوليات التي كانت تضطلع بها حكومة الهند البريطانية

قبل التقسيم في الولاية ، فيما يتعلق بالمواصلات والبريد والبرق . كما تظاهر بأنه يريد أن يقف موقف المحايد بين الهند وباكستان ، ولكنه في حقيقة الأمر كان لا يرغب إطلاقا في أن يعلن انضمام الولاية لباكستان ، وأخذ في تقوية الحاميات العسكرية المكونة من السيخ والهندوس في المناطق الإسلامية ، وأصدر أمرا في أواخر شهر يوليو 1947 م يقضي بأن يسلم المسلمون أسلحتهم للبوليس . فانفجر المسلمون بثورة في منطقة بونج بقيادة السردار محمد إبراهيم خان ، فأصدر المهراجا الأمر بالقبض عليه ، فتمكن من الهرب إلى باكستان ، وفي مدينة موري وضع أساس حركة تحرير البلاد ، وهي الحركة التي تمخضت بعد ذلك عن مولد (آزاد كشمير) أو كشمير الحرة .

واستمر المهراجا في سياسة القمع والشدة ضد المسلمين ، حتى أنه بدأ القضاء عليهم بالجملة ، فاحتجت باكستان ، وتبودلت عدة برقيات شديدة اللهجة ، وفي الوقت نفسه استمرت الإبادة الجماعية للمسلمين على يد الجند الهنادكة والسيخ ، فأبيد 237000 مسلم على بكرة أبيهم ، وفر أكثر من مليون إلى باكستان .

فهب رجال قبائل الحدود الشمالية لنصرة إخوانهم ، واستطاعوا هزيمة الأمير وقواته ، حيث كونوا حكومة آزاد كشمير عام 1948 م ، وفر الأمير من العاصمة سيرينكر إلى مقاطعة جمو ، ومن هناك كتب إلى الهند يطلب منها النجدة ، وإرسال جيش لصد الزاحفين ، وإخماد ثورة الشعب ، وأعلن في هذا الكتاب انضمامه للهند . فقبلت الهند بالطبع انضمامه ، وأرسلت القوات الهندية بالطائرات في اليوم نفسه .

وتوالت الإمدادات ، ونجحت القوات في إسكات الشعب ، وصد الزاحفين وتثبيت حكم المهراجا ، وما كادت تنقضي بضعة شهور على هذه الغارة الوحشية ، حتى كانت القوات الهندوكية قد اقتربت من حدود باكستان ، التي أرسلت بقواتها إلى آزاد كشمير ، وهكذا ظهرت مشكلة كشمير .

وأمام إلحاح الرأي العام الباكستاني ، في دخول القوات النظامية المسلحة حدود كشمير ، لم يسح جناح ولياقت علي خان إلا الاقتراح على الهند إيقاف القتال ، بضغط من (الفيلد مارشال كلود أو كنلك) وإصدار بلاغ مشترك من الحاكمين العامين للحكومتين ، بإجراء استفتاء تحت تصرف الحكومتين . ولكن حكومة الهند رأت أن كشمير أصبحت جزءا لا يتجزأ من بلادها .

فإذا أجري استفتاء فالهند هي التي تقوم به ، وتقدمت بشكوى إلى مجلس الأمن ، تشكو من تشجيع الباكستان رجال القبائل لإثارة الفوضى في بلادها . وأرسل مجلس الأمن لجنة عرفت باسم لجنة الأمم المتحدة لهندوستان وباكستان ، وأصدرت اللجنة قرارين عام 1368 هـ / 1948 م و 1369 هـ / 1949 م **ينصان على ثلاث مواد**

1- وقف القتال وتعيين خط له .
2- تجريد الإمارة من السلاح .
3- إجراء استفتاء حر محايد تحت إشراف هيئة الأمم لتقرير مصير الإمارة وانضمامها إلى الهند أو باكستان

وبلغ الأمر في مندوب الهند (المستر كريشنا مينون) عام 1377 هـ / 1957 م في مجلس الأمن ، وفي خطبته الرسمية في المجلس ، أن أشار إلى مصير المسلمين في الهند وما يمكن أن يتعرضوا له من الشعب الهندوسي ، لو ضمت كشمير لباكستان . وكان هذا الكلام يحمل تهديدا أو تلويحا بالتهديد – أمام أكبر هيئة دولية في العالم – لمصير المسلمين في الهند وهو أنهم معرضون لحملة انتقام بشعة من الهندوس والسيخ لو اتخذ مجلس الأمن قرارا بضم كشمير لباكستان

أخرج الشيخ محمد عبد الله من السجن عام 1378 هـ / 1958 م ولم يلبث طويلا حتى أعيد إلى السجن لمطالبته بالاستفتاء . وخرج معه صحبه عام 1384 هـ / 1964 م وذهب في رحلة مع زميله أفضل بيك إلى المغرب عام 1965 م ، يشرحان القضية ، فلما عادا قبضت عليهما الحكومة الهندية وأودعتهما السجن .

ورفعت مكانه العلم الهندي على بناية المجلس النيابي في سرينكر وغيرت ألقاب بعض كبار الموظفين ، وصرح الوزير الهندي (ناندا عام 1385 هـ / 1965 م :

" لقد ضمت كشمير نهائيا وبلا رجعة إلى هندوستان وأصبحت جزءا منها وقال : أنه لم يعد أي معنى لتقرير المصير " بتأييد من الدول الكبرى ، بل أن روسيا استعملت حقها في الفيتو ضد قضية كشمير عام 1964 م .

وعقب على هذا القول كل من شاستري رئيس وزراء هندستان وشافان وزير الدفاع قائلين مثل قوله ، وهددا كل من يصر على غير هذا القول ، بل وطالبا بضم آزاد كشمير إلى الهند .

بعد حملة الاعتقالات 1965 م ، أضربت البلاد احتجاجا على تصرفات الحكومة الهندية ، وقامت مظاهرات تطالب بالإفراج عن المعتقلين ، واشتبكت القوات الهندية بالمتظاهرين ، وقتلوا الكثير من الأهالي ، وألقوا جثثهم في نهر جيلم لكي لا يعرف عدد القتلى وفرضت رقابة شديدة على الأنباء . وانقلب العصيان هذا إلى ثورة وأنشئت لجنة باسم اللجنة الثورية ، وأعلنت بطلان جميع الاتفاقيات التي عقدتها حكومة الهند مع حكومة كشمير العميلة . وأعلنت الحرب على الهند لتحرير كشمير ، واستنجدت بجميع الحكومات والشعوب المحبة للسلام ليمدوا إليها أيدي المساعدة . فشنت الهند حرب إبادة في كشمير ، وباغتت باكستان بهجوم سريع عام 1965 م لتعزل كشمير

فعقد مجلس الأمن جلسة طارئة ، وطلب من الفريقين الكف عن القتال ووعد باتخاذ ما يمكن اتخاذه من إجراءات لتسوية المشاكل السياسية التي ينطوي عليها النزاع ، من غير أن يذكر القضية الكشميرية (سبب النزاع) ، وهذا محاولة من أمريكا وروسيا تجميد القضية. وأعقب ذلك إتفاقية طشقند عام 1966 م ، وبقيت كشمير المسلمة تعاني تحت الحكم الهندوسي ، ولكن أصبح لها بعض الامتيازات الخاصة في الدستور الهندي ، فقامت الحكومة المركزية في الآونة الأخيرة بتدبير مؤامرة لتغيير الحكومة المحلية بصورة تتفق مع مصالحها بالمنطقة وهذا أمر خطير سيء على رأي الشيخ سيد عبد الله البخاري الكشميري .

أما كشمير الحرة (آزاد كشمير) – فتصل مساحتها إلى 40 % فقط من مساحة كشمير الكلية ، وعاصمتها مظفر آباد في الشمال الغربي من كشمير ، وأصبحت تمثل مسلمي كشمير لها جيشها وحكومتها المحلية ما عدا أربع وزارات تتبع الحكومة الباكستانية إداريا وهي : الخارجية والدفاع والمالية والمواصلات .

وبالرغم من كل المؤامرات التي حيكت ضد الحركة الإسلامية فيها ، إلا أن الشيخ غلام عباس ومن معه ، استطاعوا أن يصمدوا أمام تلك المحاولات ، وفي عام 1967 م توفي الشيخ غلام ، فانتخب الشيخ سردار عبد القيوم رئيسا للحركة الإسلامية في كشمير . حيث فاز في أول انتخابات في تاريخ كشمير الحرة سنة 1970 م فأصبح أول رئيس لكشمير الحرة .

أما كشمير الحرة (آزاد كشمير) – فتصل مساحتها إلى 40 % فقط من مساحة كشمير الكلية ، وعاصمتها مظفر آباد في الشمال الغربي من كشمير ، وأصبحت تمثل مسلمي كشمير لها جيشها وحكومتها المحلية ما عدا أربع وزارات تتبع الحكومة الباكستانية إداريا وهي : الخارجية والدفاع والمالية والمواصلات .

وبالرغم من كل المؤامرات التي حيكت ضد الحركة الإسلامية فيها ، إلا أن الشيخ غلام عباس ومن معه ، استطاعوا أن يصمدوا أمام تلك المحاولات ، وفي عام 1967 م توفي الشيخ غلام ، فانتخب الشيخ سردار عبد القيوم رئيسا للحركة الإسلامية في كشمير . حيث فاز في أول انتخابات في تاريخ كشمير الحرة سنة 1970 م فأصبح أول رئيس لكشمير الحرة .

وبعد ذلك بدأت المواجهة بين الشيخ عبد القيوم وعلي بوتو ، فاعتقل الشيخ وألقي في السجن ، وبقي في سجنه إلى أن أفرج عنه بعد أن أطيح بعلي بوتو بعد سنتين من اعتقاله ، فعادت الحركة الإسلامية تعمل لإعادة الحياة إلى سابق عهدها في آزاد كشمير.

ويتوفر في آزاد كشمير التعليم المجاني للمرحلة الجامعية بعكس كشمير المحتلة ، وتوجد فيها جامعة كبيرة وضخمة مركزها الرئيسي مظفر آباد عاصمتها ، وتدرس اللغة العربية كمادة أساسية في جميع المراحل الدراسية من الابتدائية إلى الجامعة . وهناك إقبال شديد لفهم اللغة العربية بين شباب كشمير .

ذيول التقسيم :

نشأت باكستان في ظروف صعبة ، يكفي أن نتصور قيام دولة جديدة بكل أجهزتها الضرورية في ظرف سريع ، فقد كانت دهلي هي العاصمة قبل التقسيم ، والمدن الكبرى كلها تقريبا كانت من نصيب الهند ، ولم تكن كراتشي في عداد هذه المدن مثل بومباي أو كلكتا – وقد انتقل الجهاز الحكومي إليها ليواجه مصاعب الدولة الجديدة وضروریاتها . وفي الوقت نفسه جابهت هذه الدولة الجديدة الناشئة ظروف تدفق اللاجئين الذين بلغوا نحو سبعة ملايين وما يحتاجه هذا العدد من توفير الإقامة له وحل مشاكله . وقد رسمت الحدود دون اعتبارات اقتصادية ، فالأراضي والمدن التي كانت من نصيب الباكستان لم يكن لها من الثروة المعدنية ولا من المراكز الصناعية مثل ما كان للهند ، بل كانت شبه خالية تقريبا من ذلك .

وهذا من أساليب الإنجليز الذين أهملوا المناطق الإسلامية ، وركزوا الجامعات والمكتبات وعمليات إنشاء الطرق وكل مظاهر العمران الهامة في المناطق التي تسكنها أغلبية هندوكية ، وهذا ما لاحظه نهرو ، ولعله أهم أسباب موافقة نهرو على التقسيم ، على أمل أن لا تحيا باكستان ، وتكون الهندوكية قد تخلصت من المسلمين ، ولعل هذا ما قصده الإنجليز حين خططوا خطوط الحدود . . . فقد قال نهرو :

" وإذا رسم التقسيم بحيث يفصل ما بين المقاطعات التي تقطنها أكثرية هندوسية ، أو أكثرية إسلامية ، فعندئذ تشتمل المقاطعات الأولى الهندوسية) على الجزء الأعظم من الثروة المعدنية والمناطق الصناعية ، وهكذا فإن المقاطعات الهندوسية لن تعاني كثيرا من وجهة النظر هذه " . ومن الناحية الثانية فإن المقاطعات الإسلامية سوف تكون متخلفة اقتصاديا وعاجزة ماليا في أكثر الأحيان .

وفي الوقت نفسه بقيت لهند الرقعة الواسعة ، وبقيت لها دواوين الحكومة المجهزة ، ووسائل مواصلاتها ، وجيشها بجميع أسلحته ، وموانيها ومطاراتها وكل مقومات الدولة . وأهم من ذلك كله بقيت الحياة تسير كما هي بنظامها المعهود

وقوانينها المعروفة ، فاستأنفت الحياة دون شعور كبير بنقص أو حاجة .والباكستان كما ذكرنا منطقتان متباعدتان فهذا الوضع هو أحد الأوضاع الشاذة والصعبة في تكوين الدولة الجديدة ، وسير حياتها ، فهو وضع يتخلف عنه متاعب عديدة للدولة ، من حيث الحكم والدفاع والاقتصاد والاتصال المباشر بين سكان الدولة الواحدة .ويشكل الجزءان في الواقع دولتين منفصلتين عملا وزمنا وفكرا لا يربطهما إلا الإسلام ، وهو أقوى الروابط لقيام الأمة ، وقد قامت الدولة الجديدة على أساسه لتجابه تعصبا دينيا آخر .

لقد كان ينتظر المسلمون أن يعيشوا في ظل دولة إسلامية تحافظ على تنفيذ أحكام الإسلام بحذافيرها ، ولكن الأمور جرت على غير ما يحبونه ، إذ بينما كانوا ينتظرون دولة إسلامية تصان فيها الأخلاق وتمنع المنكرات ويرتفع فيها اسم الإسلام عاليا دون سواه ، وإذ بهم يرون أنفسهم ولم يتغير عليهم شيء ، إلا الأسماء في الوقت الذي أخذت فيه الأيدي الغربية تمتد إلى البلاد والمؤامرات تحاك . فالقائمون على الحكم مسلمون أو كانوا مسلمين .

كان الاستعمار الإنجليزي قد عمل أثناء حكمه على إحياء لغات محلية لتكون لغات قومية ، كما شجع لغته لتكون اللغة الرسمية للهند ، فأحيا اللغة السنسكريتية والبنغالية إلى جانب الأوردية على حساب الفارسية والعربية .

فكان للبنغال لغة إقليمية لها آدابها وصحفها ومجلاتها ، وبالتالي فقد كانت في غنى عن الصحف الأوردية ، وهكذا فإن تبادل المعلومات والآراء بين الشطرين كان وقفا على رجال الحكومة دون الشعب ، إلا طبقة معينة من القوم لها ثقافة خاصة وحريصة على دوام الصلة بين الشطرين .

وعندما قبل البنغاليون التخلي للأوردية لتكون لغة الدولة الرسمية ، كان ذلك لكي يقيموا دولة إسلامية ، فإذا بالباكستان كغيرها من الدول وليس الإسلام هو العنصر المميز لها ، وبمعنى آخر فقدت مقوماتها الأصلية التي قامت على أساسها ، ولجأت إلى الغرب كغيرها تستمد منه دستور حياتها ، فأضاعت رأسمالها ، ولم تحصل على شيء أفضل – وما دامت القضية أصبحت قومية وليست فكرية دينية فليس هناك ما يبرر بقاء الجزئين .

أنظر قول محمد علي جناح عام 1367 هـ / 1947 م أمام المجلس التشريعي مخاطبا أبناء قومه : " إنكم سوف ترون مع مرور الزمن بأن الهنادكة لن يكونوا هنادكة ، و المسلمين لن يكونوا مسلمين ولست أقصد بذلك الناحية الدينية ، لأن العقيدة شيء شخصي ، وإنما أقصد القومية ، وأعني بذلك أن باكستان لن تكون دولة دينية يتولى أمورها علماء دين مهمتهم دينية ، بل ستكون دولة باكستانية يتولى أمورها باكستانيون ، وعندنا كثير من غير المسلمين وكلهم باكستانيون " .

بل ذهب زعماء المسلمين إلى أبعد من ذلك فتنازل حزب الجامعة الشعبية الإسلامية في البنغال عن كلمة إسلامية ، وأصبح الحزب يسمى حزب الجامعة الشعبية فقط إرضاء للهنادكة

فانهارت بذلك أحلام المسلمين في الهند بعد أن تحركوا ونزحوا إلى باكستان في تحرك يشدهم بريق الفكرة الإسلامية التي طغت على كل شيء ، ولعلها كانت مدعاة لدعوة تحاول بها خلق وتجسيد فعلي لدولة إسلامية أكبر ، تضم شمل العالم الإسلامي . وبقيت معاناة المسلمين في الهند ومأساتهم في كشمير . واستمرت الهند تقلق حكومة باكستان تمثلت في حروب شنتها عليها عام 1948 م وعام 1965 م وأخيرا عام 1971 م . وفي الوقت نفسه عمدت الهندوكية إلى أساليب مختلفة لفصل باكستان الشرقية عن الغربية .ولتنفيذه استعان الهنادكة بالحزب الشيوعي ، وبحزب عوامي اليساري ، برئاسة الشيخ مجيب الرحمن . واغتنمت ظروف البلاد وعوامل الانفصال المتوتر فقامت بغزو البنغال عام 1971 م وانتهت الحرب بانفصال بنغلاديش عن باكستان ثم إعلان جمهورية بنغلاديش (التي تعرضت لانقلابات عسكرية متعددة .